الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع / الأنثروبولوجيا

مذكرة لنيل شهادة ماستر في علم الاجتماع

تخصص: أنثروبولوجيا الفضاءات الحضرية

عنوان المذكرة

الممارسات البيئية داخل الفضاء الحضري : مقاربة أنثروبولوجية لسلوك رمي النفايات – مدينة وهران نموذجا

إعداد الطالبة:

مشطون شهيناز

تحت إشراف الأستاذة

دريسي ثاني سلاف

2026/2025

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}.

سورة المجادلة 11

وقال تعالى :

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}.

سورة الزمر 09

شكر وتقدير:

الحمد لله الذي وفّقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، ثم أتوجه بعظيم الشكر وخالص التقدير إلى كل من أسهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.

فأولى كلمات الشكر والامتنان تذهب إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة "دريسي ثاني سلاف"، التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، ولم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها.

كما يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل الأساتذة الأفاضل الذين شرفنا التعلم على أيديهم طوال مسيرتنا الدراسية، لهم منا كل الاحترام والتقدير.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كلية العلوم الاجتماعية، إدارةً وأساتذةً وموظفين، على ما وفّرته من إطار أكاديمي ملائم وبيئة دراسية.

وفي الختام، لكل من مدّ لنا يد العون ولم تسعه هذه السطور، فإن الجميل لا يُنسى، والشكر موصول لكل من كان له أثر في هذا المشوار.

الإهداء

من قال أنا لها "نالها" وأنا لها إن ابت رغماً عنها أتيت بها.

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفوفاً بالتسهيلات لكني فعلتها و نلتها.

إلى الذي زين اسمي بأجمل الألقاب، من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل.... من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحه العلم والمعرفة داعمي الاول في مسيرتي وسندي وقوتي وملاذي بعد الله....

إلى فخري واعتزازي ابي" حبيب "

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها واحتضنني قلبها قبل يدها وسهلت لي الشدائد بدعائها...

إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت لي في الليالي المظلمات سر قوتي ونجاحي امي "زهرة"

إلى ضلعي الثابت وأمان ايامي إلى من شددت عضدي بهم فكانوا لي ينابيع ارتوي منها إلى خيرة أيامي وصوفتها إلى قرة عينيّ أخويّ " محمد و هشام "

لكل من كان عوناً وسنداً في هذا الطريق.... للأصدقاء الأوفياء ورفقاء السنين الأصحاب الشدائد والأزمات إلى من أفاضني بمشاعره ونصائحه...

إلى صديقتي " فاطمة و سمية"

أهديكم هذا الإنجاز وثمرة نجاحي الذي لطالما تمنيته ها أنا اليوم أكملت وأتممت أول ثمراته بفضله سبحانه وتعالى فالحمد لله على ما وهبني.

الفهرس

(1) مقدمة عامة .....

المقدمة ..... أ

أهمية الدراسة ..... ت

أهداف الدراسة ..... ج

أسباب اختيار الموضوع ..... ج

النظريات..... ح

الدراسات السابقة ..... ر

الإشكالية..... ض

الفرضيات..... ط

الإطار المفاهيمي .....ف

(2) الفصل النظري للدراسة: .....

المبحث الأول: المدينة و الفضاء الحضري مقاربة سوسيو- أنثروبولوجية..... 1

المبحث الثاني: النظافة والقذارة والنفايات كبناءات ثقافية ورمزية 11

المبحث الثالث: الممارسة البيئية في الفضاء الحضري، المقاربة النظرية والمحددات السوسيو-ثقافية..... 22

(3) الفصل الميداني للدراسة: .....

المنهج و أدوات البحث: 30

الوصف الاثنوغرافي لميدان الدراسة 32

المبحث الأول: السلوك الموروث داخل الحي والأسرة 33

المبحث الثاني: الممارسات الاعتيادية و إعادة انتاجها 36

المبحث الثالث: أثر التنشئة الاجتماعية في تشكيل السلوك البيئي 40

المبحث الرابع: الحضري و إعادة انتاج ممارسة البيئية 43

الاستنتاج 46
الخاتمة..... 47
الملاحق: .....
دليل المقابلة 52
الجدول الاثنوغرافي 54
الصور..... 55
قائمة المصادر و المراجع ..... أ
ملخص.....

مقدمة عامة

المقدمة:

تُعدّ المدينة المعاصرة من أبرز الظواهر التي أفرزتها الحداثة، إذ لم تعد مجرد تجمّع بشري أو فضاء مادي تحدّه الطرقات والمباني، بل غدت نسيجاً اجتماعياً وثقافياً معقداً تتشابك فيه الأبعاد المادية والرمزية وتتقاطع فيه مختلف أشكال التفاعل الإنساني. فمنذ منتصف القرن العشرين شهد العالم تحولاً ديموغرافياً غير مسبوق تمثّل في موجات التحضر السريع والهجرة المكثفة من الريف إلى المدينة، ولم تقتصر تداعيات هذا التحول على البنى الاقتصادية والديموغرافية فحسب، بل امتدت لتطال أنماط الحياة والقيم والسلوكيات الاجتماعية في أعمق تجلياتها اليومية. وإن الفضاء الحضري من منظور سوسيو–أنثروبولوجي ليس معطىً مادياً جاهزاً، بل هو بناء اجتماعي وثقافي متجدد ينتج من خلال تفاعل العوامل المادية كالمباني والبنى التحتية مع العوامل الاجتماعية والثقافية كالممارسات والتمثلات والعلاقات الاجتماعية، إنه فضاء مليء بالمعاني والدلالات التي تُنتج وتُعاد صياغتها باستمرار من خلال الاستخدامات اليومية للأفراد والجماعات.

ومما يميّز الفضاء الحضري طابعُه العمومي، أي كونه فضاءً مشتركاً متاحاً للجميع دون تمييز، من شوارع وساحات ومرافق عامة يتقاسمها السكان بمختلف انتماءاتهم الاجتماعية والثقافية. غير أن هذا الطابع العمومي لا يعني أن الأفراد يستعملونه بالطريقة ذاتها أو يشعرون بالانتماء إليه بالقدر نفسه، إذ تتباين العلاقة بين الفرد والفضاء العام تبايناً كبيراً وفق الخلفية الاجتماعية والثقافية لكل فرد وتجربته الخاصة في العيش الحضري. وقد زاد من تعقيد هذه العلاقة أن النمو الحضري المتسارع لم يواكبه تطور مماثل في البنى التحتية والخدمات العامة، فضلاً عن أن الهجرات الداخلية المتواصلة أفرزت مجتمعات حضرية هجينة تتعايش فيها قيم وممارسات متباينة، قادمة من سياقات ريفية متجذرة في علاقات القرابة والتضامن، لتجد نفسها أمام واقع

حضري تهيمن عليه العلاقات الرسمية وتضعف فيه آليات الرقابة الاجتماعية التقليدية، مما يفرض على الأفراد إعادة بناء علاقاتهم مع الفضاء المشترك من جديد.

وفي خضم هذه التحولات برزت مسألة التلوث البيئي بوصفها من أكثر الإشكاليات إلحاحاً في المدينة المعاصرة. فإذا كانت البيئة في سياقها التقليدي تُدار وفق منطق الاستخدام المباشر والمعرفة العميقة بالمحيط، فإن الاقتصاد الحضري القائم على الاستهلاك الكبير للسلع المصنّعة أنتج كميات هائلة من النفايات لم تكن موجودة في الثقافات التقليدية، من أكياس بلاستيكية ومواد كيميائية وغيرها من المخلفات الصناعية التي باتت تُشكّل عبئاً بيئياً ثقيلاً على المدن. وكما يُشير التير فإن المشكلات الناجمة عن التحضر قد تكون اجتماعية بامتياز، وهي المتعلقة بالسلوك الاجتماعي والمتسببة فيها عوامل تتصل بهذا السلوك ذاته.

ومن هنا تبرز ظاهرة رمي النفايات وتلويث الفضاء الحضري بوصفها ظاهرة معقدة تتداخل فيها أبعاد اجتماعية وثقافية واقتصادية ونفسية في آنٍ واحد، فهذا السلوك ليس مجرد نتيجة لنقص الوعي البيئي كما يُروَّج له في كثير من الأحيان، بل هو ممارسة اجتماعية متجذرة في منظومة ثقافية ورمزية محددة. إذ لا يمكن من منظور الأنثروبولوجيا فهم هذه الممارسات بمعزل عن السياق الثقافي والاجتماعي الذي تحدث فيه، ولا عن التصورات الجمعية حول النظافة والقذارة وحول الخاص والعام وحول المسؤولية الفردية والجماعية تجاه الفضاء المشترك. وقد دفعنا هذا الاهتمام إلى اختيار مدينة وهران ميداناً لهذه الدراسة، باعتبارها نموذجاً حضرياً جزائرياً يعكس بجلاء هذه التناقضات والتحولات.

وقبل الشروع في بناء الإطار النظري للدراسة، ارتأينا النزول إلى الميدان أولاً، فكانت دراستنا الاستطلاعية في واجهة البحر بوهران، هذا الفضاء العام الذي يلتقي فيه يومياً مختلف سكان المدينة، حيث اعتمدنا على الملاحظة الميدانية المباشرة للاقتراب الأول من الظاهرة.

وقد كشفت هذه الجولة عن مشاهد لافتة ومتكررة؛ أبرزها وجود نفايات مرمية في غير أماكنها أمام بنايات سكنية عالية ومقاهٍ مكتظة بالمرتادين، مما يُشير إلى أن التلوث لا يرتبط بغياب الناس بل يحدث في حضورهم وأمام أعينهم. كما رصدنا حاويات مكسورة وغير كافية لا تتجاوز في بعض الأماكن حاويتين بين شارعين أو أكثر، إضافةً إلى نفايات مرمية أمام الحاويات مباشرةً لا داخلها، مما يطرح تساؤلاً جوهرياً حول العلاقة بين توفر البنية التحتية وتوظيفها فعلياً. ولفت انتباهنا كذلك وجود خبز موضوع أمام الأشجار وبجانب الحاويات، وهو سلوك يعكس تمثلاً ثقافياً ودينياً خاصاً يُضفي على بعض المخلفات دلالات رمزية تُميّزها عن غيرها. وقد أسهمت هذه المشاهدات مجتمعةً في توجيه مسار بحثنا نحو فهم أعمق للممارسات البيئية لا بوصفها سلوكيات فردية عشوائية، بل بوصفها ظاهرة اجتماعية وثقافية تستحق الدراسة الأنثروبولوجية المعمّقة، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عنه.

تحظى دراسة الممارسات البيئية في الفضاء الحضري من المنظور الانثروبولوجي أهمية بالغة على عدة مستويات.

من الجانب النظري فهذه الدراسة تساهم في إثراء الأدبيات الأنثروبولوجية حول علاقة الإنسان بالبيئة الحضرية، نجد معظم الدراسات حول البيئة تركز على الجانب التقني أو الإداري وحتى السياسي ، غافلة عن الأبعاد الثقافية والاجتماعية والرمزية.

هذه المقاربة الأنثروبولوجية تتيح فهما أعمق لكيفية تشكل الممارسات البيئية وللطرق التي يعيد بها الأفراد إنتاج الأنظمة الاجتماعية والثقافية من خلال تعامله مع البيئة، تعتبر هذه الدراسة إضافة قيمة لأنثروبولوجيا المدينة من خلال تسليط الضوء على جوانب غالبا ما تهمل كالحياة اليومية العادية والممارسات الروتينية البسيطة، لكنها تعبر عن منظومة قيمية ورمزية، علاوة على ذلك تطرح هذه الدراسة تساؤلات مهمة

حول التحولات الثقافية والاجتماعية المرافقة للتحضر السريع وحول المفارقات بين القيم التقليدية والحديثة، بين الوعي الفردي والوعي الجماعي.

أما من الجانب التطبيقي، فإن أهمية الدراسة تكمن في فهم الدوافع الثقافية والاجتماعية وراء السلوكيات السلبية على البيئة، و يتيح فرص للتدخل أكثر ملائمة وفعالية، فبدلا من الاكتفاء بتوفير حاويات النفايات يمكن العمل على تغيير التصورات حول الفضاء العام والمسؤولية الجماعية للأفراد، و بدلا من الاكتفاء بفرض العقوبات على المخالفين يمكن العمل على تعزيز الشعور بالانتماء، و تطوير حلول تأخذ بعين الاعتبار الخصوصية الثقافية والاجتماعية للفضاء بدلا من استيراد نماذج من سياقات ثقافية مختلفة، فالمقاربات التقليدية التي تركز على الحلول التقنية كتوفير حاويات النفايات وتحسين خدمات النظافة إضافة لفرض عقوبات غالبا ما تثبت محدوديتها لأنها لا تؤخذ بعين الاعتبار الأبعاد الثقافية والاجتماعية للممارسات البيئية.

والفكرة الأهم حول هذه الدراسة تكون في مساهمتها في تشكيل وعي بيئي أكثر عمقا وشمولية فالوعي البيئي لا يعني المعرفة بالمشكلات البيئية أو بالحلول فقط، بل هو أيضا فهم الروابط بين الممارسة اليومية والمخاطر البيئية وبين الحاضر والمستقبل.

فالكشف عن الأبعاد الثقافية والاجتماعية للممارسات البيئية يساعد على تجاوز مسألة الوعي واللاوعي نحو فهم أكثر تعقيدا، يؤخذ بعين الاعتبار السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تشكل سلوك الفرد، فهذا الفهم مهم لبناء استراتيجيات توعوية أكثر فاعلية تبدأ من واقع الناس وتصوراتهم بدلا من فرض نماذج مثالية مسبقة.

وعليه فهذه الدراسة تسعى إلى تقديم قراءة أنثروبولوجية للممارسات البيئية في الفضاء الحضري وتنطلق من الغوص في تفاصيل الحياة اليومية للأفراد من أجل الفهم العميق للسياقات الثقافية والاجتماعية التي تشكل هذه الممارسات وتحليلها إضافة لدراسة تأثير الفضاء العام على السلوك والوعي البيئي للأفراد.

كقاطنة في مدينة وهران ومواطنة تعبر يوميا عبر فضاءاتها المختلفة لطالما استوقفتني مفارقة محيرة وهي لماذا نرى الناس يعتنون بنظافة بيوتهم وفضائهم الشخصي بعناية بينما يرمون النفايات في الشارع دون تردد، إذا كيف يتصرف الشخص بالحفاظ على نطاق مساحته الخاصة ثم يتصرف بطريقة معاكسة تماما في الفضاء العام. هذا الإشكال الذي نراه يوميا لكن نادرا ما نتوقف لفهمه بعمق من هنا كانت نقطة الإنطلاق الأولى لاهتمامي بهذا الموضوع ، و من خلال مراجعتي للأدبيات المتوفرة لاحظت أن معظم الدراسات حول البيئة في السياق المحلي تركز على الجوانب التقنية كإدارة النفايات والتلوث أو السياسات العمومية و تغفل إلى حد كبير عن الأبعاد الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، هذا النقص في الدراسات التي تتناول الممارسات البيئية من منظور ثقافي واجتماعي يشكل فرصة لتقديم اسهام جديد ومختلف في فهم الإشكالية البيئية وتحديا لبناء إطار نظري ومنهجي ملائم لدراسة ظاهرة لم تدرس بهذا المنظور في سياقنا المحلي.

النظريات المعتمدة:

في إطار تفسير الممارسات البيئية داخل الفضاء الحضاري تستند هذه الدراسة إلى نظرية التفاعلية الرمزية، التي ترى أن السلوك الاجتماعي بما في ذلك الممارسات البيئية لا يفهم إلا من خلال تحليل التفاعلات اليومية والمعاني الرمزية، التي ينتجها الأفراد أثناء تفاعلهم مع محيطه، "تعتبر التفاعلية الرمزية واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الانساق الاجتماعية، وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى (Micro) منطلقة منها لفهم الوحدات الكبرى، بمعنى أنها تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل

لفهم النسق الاجتماعي ، فأفعال الأفراد تصبح ثابتة لتشكل بنية من الأدوار ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم اتجاه بعض من حيث المعاني والرموز، ومن هنا يصبح التركيز إما على بنى الأدوار والانساق الاجتماعية أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي، ومع ترى البنى الاجتماعية ضمنا باعتبار بنى للأدوار بنفس طريقة بارسونز (Parsons)، إلا أنها لا تشغل نفسها بالتحليل على مستوى الانساق بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المتشكل عبر اللغة والمعاني والصور الذهنية، استنادا إلى حقيقة مهمة هي أن على الفرد استوعاب أدوار الاخرين، إذن التفاعلية الرمزية تركز اهتمامها على دراسة التفكير وعملياته ".(صباح،2023،ص2)

برزت التفاعلية الرمزية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد ثلاثينات القرن 20 والتسمية تفاعلية رمزية اوجدت سنة 1937 من قبل عالم الاجتماع هربرت بلومر 1900-1987 ، وقد كان بلومر شديد التأثر بإحدى أطروحات عالم النفس الاجتماعي جورج ميد 1963- 1931، تتمثل في أن ثمة تفاعلات مستمرة بين الأفراد حول التأويلات التي يعطونها لمواقف سلوك أي منهم، اللغة والتمثلات التي نصنفها بالرمزيات تلعب دورا كبيرا في هذه التفاعلات من هنا كان اشتقاق التعبير المستخدم التفاعلية الرمزية.

لقد وجه ايرفنج غوفمان 1922-1982 عالم اجتماع كندي اهتمامه لتطوير مدخل التفاعلية الرمزية لتحليل الانساق الاجتماعية مؤكدا على أن التفاعل وخاصة النمط المعياري والاخلاقي ما هو إلا الإنطباع الذهني الإرادي الذي يتم في نطاق المواجهة، كما أن المعلومات تسهم في تعريف الموقف وتوضيح توقعات الدور، اشتهر غوفمان بمقاربته التي تعرف ب "السوسيولوجيا الدرامية" أو "المقاربة الدراموروجية"، اذ شبه الحياة الاجتماعية بالمسرح حيث يؤدي الأفراد أدوارا أمام جمهور معين وفق سياقات محددة، يرى غوفمان أن كل فرد يقدم نفسه للآخرين في الحياة اليومية كما يفعل الممثل على خشبة المسرح، فهو يدير انطباعات الآخرين عنه

ويعدل سلوكه بحسب السياق الاجتماعي المتواجد به، هذا ما يفسر التصرفات المختلفة للفرد أثناء تواجده في الفضاء الخاص والعام.

كما يميز غوفمان بين فضائيين للسلوك الإنساني، أولا المسرح الأمامي وهو الفضاء العام الذي يكون فيه الفرد تحت أعين الآخرين فيتوجب عليه الالتزام بمعايير اجتماعية معينة ويحسن من اظهار صورته أمامهم، الفضاء الثاني وهو المسرح الخلفي هو الفضاء الخاص الذي يبتعد فيه الفرد عن أعين الأخرين فيتصرف بحرية بعيدا عن القيود الاجتماعية .

هنا تكمن النقطة المهمة في دراسة سلوك رمي النفايات إذ يتصرف الأفراد بشكل مغاير في الفضاءات العامة أمام الاخرين عن تصرفهم في الفضاءات الخاصة بعيدا عن أعين الاخر والأماكن التي تغيب فيها الرقابة الاجتماعية .

نجد أيضا إدارة الانطباعات، فيسعى الفرد دائما للتحكم في الصورة التي يقدمها عن نفسه للآخر، وهو ما يعني أن السلوك البيئي الظاهر قد يكون في بعض الأحيان مجرد اندفاع تجنب الإدانة الاجتماعية أو المحافظة على صورة اجتماعية معينة، لا بدافع وعي بيئي حقيقي.

يمكن توظيف مفهوم الوصمة الاجتماعية لفهم كيف أن بعض السلوكيات البيئية السلبية حين تصبح سائدة تفقد رسمتها الاجتماعية وتتحول لممارسة مقبولة أو حتى عادية ، هذا المفهوم الذي طوره غوفمان للوصمة الاجتماعية ليشير إلى الصفات التي تقلص قيمة الفرد الاجتماعية في نظر الاخرين، مفهوم آخر ضمن التفاعلية الرمزية وهو النظام التفاعلي في الفضاء العام، اهتم غوفمان بكيفية تنظيم الأفراد لتفاعلاتهم في الفضاء العام وكيف تتحكم قواعد غير مكتوبة في سلوكهم اليومي داخل هذه الفضاءات العامة.

تتيح نظرية التفاعلية الرمزية تفسير ظاهرة رمي النفايات في الفضاء الحضري من زوايا متعددة تنطلق بوصفها إطارا نظريا يتيح فهم سلوك رمي النفايات في الفضاء الحضري لمدينة وهران من زاوية الكشف عن المعاني والدلالات الرمزية التي ينتجها الأفراد في تفاعلاتهم اليومية مع هذا الفضاء الحضري، فالفضاء الحضري هنا فضاء رمزي تتشكل فيه المعاني وتتداول وتعاد صياغتها باستمرار من خلال ما يلاحظه ويمارسه الأفراد داخله يوميا.

بالرجوع لمفاهيم غوفمان يتضح أن السلوك البيئي للفرد لا يتحدد بشكل آلي لعوامل ثابتة ، بل هو عبارة عن أداء اجتماعي متحول يتشكل وفق السياق التفاعلي الذي يتواجد فيه الفرد، فالفرد لا يتصرف في معزل عن الآخرين في الفضاء العام بل في تواجدهم ومن خلال مراقبته لسلوكياتهم وتأويله لما تبعثه هذه الفضاءات من اشارات رمزية، ومن هنا فإن ما يصدره الفرد من سلوك نحو البيئة في سياق تفاعلي معين قد يختلف عما يصدر في سياق آخر، ليس بالضرورة لأن قناعته تتغير بل لأن المعاني الرمزية التي يأخذها من الفضاء ومن الاخرين تتغير من سياق لآخر.

في دراسة العلاقة بين الإنسان وبيئته المحيطة نجد العالم الفرنسي غوستاف نيكولاس من أبرز علماء النفس الاجتماعية، حيث تخصص في هذه الدراسات و أسس ما يعرف اليوم بعلم النفس الاجتماعي البيئي أو سيكولوجيا المحيط، حيث يركز هذا العلم على علاقة الفرد مع الآخرين من جهة وعلى دور الفضاء الاجتماعي باعتباره نتيجة للتدخلات من جهة أخرى، وقد ظهر هذا العلم في السبعينات، كما يشكل أنماط السلوكيات وتفاعلات الأفراد داخله، وقد عرف فيشر الفضاء بوصفه "ماتريكس" الوجود الاجتماعي وحلله بوصفه وسيطا للتفاعلات بين البشر، إذ يجسد الفضاء الواقع الاجتماعي بوصفه بيئة حية تحمل المعاني والدلالات.(Fischer,1981,p27)

تنطلق نظرية علم النفس المحيط من مسلمة مفادها أن البيئة المحيطة بالفرد ليست مجرد إطار مادي محايد تجري فيه الأفعال الإنسانية بل إن علم نفس البيئة يدرس العلاقات التي يقيمها الأفراد والجماعات مع بيئتهم الاجتماعية وهي علاقات عاطفية أو خيالية أو رمزية وليست وظيفيه فحسب. يرى فيشر في هذا السياق بأن البيئة المادية محدد أساسي للسلوك، إذ يبين أهمية ودور وعوامل بيئية متعددة كالتجهيزات والضجيج والكثافة على السلوك الإنساني وجودة الحياة ، فهذه الخصائص المادية في الفضاء تؤثر مباشرة في طريقة تصرف الأفراد داخله، هذا ما يفسر نتائج الدراسة الاستطلاعية المتعلق بالحاويات المكسورة وغير الكافية، إذ لا تمثل هذه الأخيرة مجرد قصور في الخدمات بل هي رساله رمزية ضمنية توحي بأن هذا الفضاء مهمل ومتروك مما يجعل سلوك الإهمال ورمي النفايات أمام الحاويات يبدو مقبولا ضمن اللاواعي الجمعي(Fischer,1992,p6)

تساهم نظرية فيشر في هذا الصدد في تقديم إطار تفسيري يربط بين الخصائص المادية للفضاء الحضري والسلوكيات البيئية للأفراد وهذا ما ورد في فرضيتنا الأولى التي مفادها أن الفرد يشكل سلوكا بيئيا نتيجة لتفاعله مع الفضاء الحضري وقوانينه الضمنية.

الدراسات السابقة:

إن موضوع الممارسات البيئية في الفضاء الحضري لقي اهتماما واسعا من طرف العديد من الباحثين في مجالات علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، والجغرافيا الاجتماعية، حيث أسهم كل منهم بطريقته الخاصة في تأصيل المفاهيم، وتطوير المقاربات النظرية، وتحليل التجارب الميدانية المرتبطة بالعلاقة بين الفرد وبيئته الحضرية، فقد واكبت هذه الدراسات مظاهر التحول العمراني والنمو الحضري، وركزت على تحليل الفضاءات العامة، وسلوكيات الأفراد، وعلاقتهم بالبيئة الطبيعية والاجتماعية، هذا ما يعكس تنوعا معرفيا يثري من منهج

الدراسة ويساعد في توظيف التجارب المماثلة لفهم الواقع الميداني في مدينة وهران، وتركيبه مع منهجية المقاربة الأنثروبولوجية لسلوك الفرد في الفضاء الحضري. ومن هذا المنطلق، نقدم في هذه الفقرة لمحة عن أبرز الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع دراستنا، بهدف تحديد الفراغ المعرفي الذي تسعى هذه الدراسة إلى سده.

الدراسة الأولى: اتجاهات التحضر في المجتمع العربي من تأليف أ. د مصطفى عمر التير

نجد دراسة الدكتور مصطفى عمر التير بكتاب اتجاهات التحضر في المجتمع العربي، حيث يعالج الكتاب ظاهرة التحضر في المجتمعات العربية من منظور سوسيو تاريخي، حيث يسعى المؤلف إلى نقض الصورة النمطية الغربية التي تختزل العرب في نمط الحياة البدوية، مؤكدا أن المدن العربية تعد من بين أقدم المراكز الحضرية في التاريخ الإنساني، يحتوي الكتاب على بابين أساسيين رئيسيين، حيث يتناول الباب الأول الإطار النظري لظاهرة التحضر وأنماطها من خلال ثلاثة فصول تستعرض: الملاحظات النظرية والمدينة القديمة وملامح ظاهرة التحضر العربية، بينما يحتوي الباب الثاني على ستة فصول تطبيقية تناولت اتجاهات التحضر في المجتمع الليبي والعربي وقد طرح الكاتب إشكالية هامة مفادها: ما طبيعة التحضر في المجتمع العربي المعاصر؟ وما العوامل التي أسهمت في تشكيل المدينة العربية عبر التاريخ؟، ويبرز أيضا أن ظاهرة التحضر في المجتمع العربي المعاصر تميزت بنمو سريع خلال فترة زمنية قصيرة ، غير أن هذا النمو المتسارع جاء على حساب الثروة الطبيعية والأراضي الزراعية المحدودة، وأن المدينة العربية تحمل في طياتها تناقضات عميقة بين الموروث التاريخي والحضاري من جهة و متطلبات الحداثة والتحضر المتسارع من جهة اخرى.

الدراسة الثانية: نمط البيئة الحضرية و علاقتها بتشكيل سلوك الفرد لعماد بوروح 2021

فيما يخص نمط البيئة الحضرية وعلاقتها بتشكيل سلوك الفرد يتكلم بوروح في هذا المقال عن العلاقة الجدلية بين نمط البيئة الحضرية وتشكيل منظومة السلوكيات والممارسات الفردية داخل الفضاء العام، منطلقا

من فرضية أن طبيعة سلوكيات الفرد ترتبط ارتباطا وثيقا بتفكيره في ذاته وفي محيطه البيئي، وتحدث وفقا لما يأتي به الفضاء العام من معطيات مادية ولا مادية، وقد انطلق الباحث من إشكالية مفادها: كيف تتمظهر سلوكيات الفرد ضمن النسق الحضري؟ وهل تتأثر منظومة السلوكيات بخصوصية البيئة الحضرية؟ ، وافترض أن البيئة الحضرية بخصوصياتها تفرض على الأفراد أنماط سلوكية معينة، وقد ميز بين نمطين من البيئات، البيئة المتقدمة التي تحقق التكامل بين سلوك الفرد وبيئته ، و البيئة المتخلفة التي تفرض ممارسات عنيفة وسلوكيات سلبية، و قد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج النظري التحليلي وتوصل إلى نتيجة مفادها أن البيئة الحضرية المتخلفة تساهم في تشكيل السلوكيات السلبية وأن هناك علاقة متبادلة التأثير بين نمط البيئة الحضرية وسلوك الفرد.

الدراسة الثالثة: الفضاء العام و المحافظة على البيئة لشاقلالة لخضر و دحماني محمد 2023

كما تناول الطالبين شاقلالة لخضر ومحمد دحماني دراستهما حول علاقة الفرد بالبيئة في الفضاء العمومي الموسومة بالفضاء العام و المحافظة على البيئة مع التركيز على الممارسات البيئية داخل الوسط الحضري لمدينه تيارت، إذ انطلقت من إشكالية ما علاقة الفرد بالبيئة في الفضاء العمومي؟ وما طرق الحفاظ على الغطاء النباتي؟ وكيف يتعامل الأفراد مع النفايات؟ ، افترض الباحثان أن الأفراد يتعاملون مع المساحات الخضراء والنفايات بطريقة إيجابية ومنتظمة، و اعتمدا في الدراسة على المنهج الوصفي مع توظيف أدوات المنهج الكيفي والكمي، كالملاحظة الميدانية والاستبيان على عينة بلغ عددها 30 فردا من المترددين على الفضاءات العامة بمدينه تيارت، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج تناقضت مع فرضياتهما الأولية، إذ كشفت عن غياب الوعي البيئي لدى الأفراد اتجاه الفضاء العام، وضعف الممارسات الإيجابية في التعامل مع النفايات والمساحات الخضراء.

الدراسة الرابعة: إشكالية النظافة في المدن الجزائرية مقاربة أنثروبولوجية للشلاش عمارية 2012

نجد أيضا دراسة لشلاش عمارية حول اشكالية النظافة في المدن الجزائرية حيث انطلقت من تساؤل حول غياب النظافة في الفضاء الحضري الجزائري عموماً ومدينة وهران خصوصاً، وعن التمثلات والممارسات والسلوكيات التي تُفضي إليها. تناول الفصل الأول إشكالية النظافة وعلاقتها بالبيئة والمنظور الأنثروبولوجي وتمثلات السكان داخل العائلة، وخُصّص الفصل الثاني لمفهوم النفايات المنزلية ونظام تسييرها والاستفادة منها، وتطرّق الفصل الثالث إلى تمثلات وممارسات سكان وهران في الفضاء العمومي من زاوية إشكالية النظافة، فيما تناول الفصل الرابع دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالعائلة والمدرسة والقانون ووسائل الإعلام والجمعيات في ترسيخ قيم النظافة. اعتمدت الباحثة على المنهج الأنثروبولوجي الميداني مستعينةً بتقنيات الملاحظة والمقابلة. وتوصّلت إلى أن النظافة سلوك مكتسب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتربية والتنشئة الاجتماعية، وأن تناقضاً قائماً بين ما يُعلنه السكان من قيم تجاه النظافة وما يمارسونه فعلياً في الفضاء العمومي.

الدراسة الخامسة: الطهارة و الخطر لماري دوغلاس Purity and Danger, Merry Douglas 2001

كما تعد مقالة الطهارة و الخطر للباحثة ماري دوغلاس من أهم الأعمال في الأنثروبولوجيا الرمزية، إذ تناولت فيها الباحثة مفاهيم النظافة والقذارة عبر ثقافات ومجتمعات مختلفة من منظور أنثروبولوجي مقارن، حيث انطلقت من أطروحة مهمة مفادها: أن القذارة هي مادة في غير مكانها، بمعنى أن القذارة ليست خاصية جوهرية في المادة ذاتها بل هي منتج ثقافي ينتج عن عملية التصنيف والتنظيم الاجتماعي ، فما يعتبر قذرا في سياق معين قد لا يكون كذلك في سياق آخر، وتربط الباحثة بين مفاهيم النظافة والتلوث من جهة وبين أنظمة التصنيف الثقافي والاجتماعي من جهة أخرى، مؤكدة أن ما نعتبره قذرا يعكس حدود النظام الاجتماعي

وما يستبعد منه، واعتمدت الباحثة على المقاربة الأنثروبولوجية المقارنة عبر تحليل أنظمة المحظورات والطقوس في ثقافات متعددة، وتوصلت إلى أن مفاهيم النظافة والقذارة ليست كونية بل هي بناءات ثقافية واجتماعية تختلف من مجتمع لآخر وفقا لأنظمة التصنيف السائدة فيه.

الدراسة السادسة: الأشكال الثقافية و المادية للتلوث الحضري ل Rivke Jaffe & Eveline Dürr

كما تقدم مقالة الأشكال الثقافية و المادية للتلوث الحضري لريفكه جافي و ايفيلين دور إطارا نظريا لفهم التلوث الحضري بوصفه ظاهرة مادية ورمزية في آن واحد، إذ تنطلق من ملاحظة مفادها: أن التلوث البيئي أصبح عاملا حاسما في تطور المدن وقابليتها للعيش فيها، وتستخدم الباحثتان ظاهرة التلوث البيئي كعدسة تحليلية لفهم التعقيدات الاجتماعية والثقافية للبيئة الحضرية والفضاءات والسلطة ورأس المال، و تنتقدان التمييز الصارم بين التلوث المادي كالقمامة والصرف الصحي والتلوث الرمزي كالتصورات الثقافية والتمثلات الاجتماعية، واقترحتا مقاربة تدرس كيف تتشابك هذه الأبعاد، واعتمدتا في الدراسة على منهج إثنوغرافي مقارن يستند إلى دراسات حالة من مدن مختلفة منها القاهرة حول المخاوف الجندرية من التلوث في الفضاء العام ومدينة كوتار بالهند حول التمييز بين النظافة الخاصة والفوضى العامة، وتوصلت الباحثتان من خلال هذه الدراسة إلى فكرة أن التلوث البيئي لا يمكن فهمه بمعزل عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي ينتجه، وأن خطابات النظافة والقذارة كثيرا ما توظف كأدوات للإقصاء الاجتماعي والتمييز الطبقي و الجندري.

تعقيب حول الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة جوانب متعددة ومتشعبة من موضوع السلوك البيئي والفضاء الحضري والنظافة، وإذ لا نبخس هذه الدراسات قيمتها العلمية التي أفادتنا إفادةً بالغة في الإلمام بأبعاد الموضوع وتعقيداته، فقد استفدنا من كتاب مصطفى عمر التير في تأسيس الإطار التاريخي والسوسيولوجي لظاهرة التحضر في السياق العربي، ولا سيما في فهم المسار الذي قطعته المدن العربية عبر التاريخ وانعكاسات النمو الحضري المتسارع على الفضاء العام والبيئة الحضرية مما يوفر سياقاً ماكروسوسيولوجياً لفهم الوضع الحضري في مدينة وهران. أما مقال الدكتور عماد بوروح فقد اعتمدنا عليه في تأطير العلاقة الجدلية بين خصائص البيئة الحضرية وأنماط السلوك الفردي، وأفادنا تمييزه بين البيئة الحضرية المتقدمة والمتخلفة وما تفرضه كل منهما من ممارسات في صياغة فرضياتنا المتعلقة بتأثير الفضاء الحضري على السلوك البيئي. واستفدنا من مذكرة شاقلالة ودحماني بوصفها نموذجاً ميدانياً جزائرياً يرصد الممارسات البيئية في الفضاء العمومي الحضري، ومن نتائجها المتعلقة بغياب الوعي البيئي في تصميم أدواتنا المنهجية وتوجيه تساؤلاتنا الميدانية. وقد شكّل عمل ماري دوغلاس ركيزةً مفاهيميةً جوهريةً في بناء إطارنا التحليلي، إذ زوّدنا بالأدوات النظرية اللازمة لتجاوز الفهم السطحي للسلوك البيئي نحو قراءته بوصفه ممارسةً اجتماعيةً تعكس أنظمة التصنيف الثقافية الضمنية للأفراد حول ما هو نظيف وما هو قذر وما هو عام وما هو خاص. فضلاً عن ذلك، أسهمت مقالة الأشكال الثقافية والمادية للتلوث الحضري في توسيع أفق التحليل نحو مقاربة تكاملية تتجاوز ثنائية المادي والرمزي، وأفادتنا في إدراك كيف ترتبط ممارسات النظافة والقذارة بالبنى الاجتماعية والثقافية الأعمق. أما دراسة لشلاش عمارية فقد أفادتنا بوصفها الدراسة الأقرب إلى موضوعنا في ميدانها وتخصصها وإشكاليتها، إذ أكّدت لنا راهنية الظاهرة في

السياق الوهراني، واستفدنا من نتائجها المتعلقة بالتناقض بين القيم البيئية المُعلنة والممارسة الفعلية في صياغة فرضيتنا الثانية، كما استفدنا من منهجها الأنثروبولوجي الميداني في تصميم أدواتنا البحثية.

غير أن ثمة جانباً محورياً ظلّ غائباً في هذه الدراسات مجتمعةً أو حاضراً بصورة منقوصة، وهو الكيفية التي يُنتج بها الفاعل الاجتماعي سلوكياته البيئية داخل الفضاء الحضري انطلاقاً من تمثلاته الرمزية والثقافية الخاصة في سياق حضري جزائري محدد يتميز بخصوصياته التاريخية والثقافية والعمرانية. فمعظم هذه الدراسات إما اكتفت بالبُعد الكمي الوصفي دون الغوص في المعاني الرمزية التي يُسبغها الأفراد على ممارساتهم البيئية اليومية، وإما تناولت سياقات ثقافية مغايرة لا تعكس بالضرورة خصوصية المدينة الجزائرية بتركيبتها الاجتماعية والثقافية المعقدة. كما أن أياً من هذه الدراسات لم يُولِ الاهتمام الكافي للبُعد التفاعلي الرمزي في علاقة الفرد بالفضاء العام، أي الكيفية التي يُفسّر بها الأفراد أفعالهم وأفعال الآخرين في الفضاء المشترك، وكيف تتشكّل هذه الأدوار عبر التفاعل اليومي مع المكان ومع الآخرين. ومن هنا تنبثق اشكالية دراستنا.

الإشكالية:

باعتبار أن المدينة ظاهرة من ظواهر الحضارة الإنسانية وواحدة من مكونات الوسط البيئي الذي يعيش فيه الفرد حيث يؤثر فيه ويتأثر به، فإنها لا تختزل في كونها تجمعا عمرانيا فحسب بل تعد فضاءً اجتماعيا وثقافيا، تنتج داخله السلوكيات اليومية للأفراد ويؤثر الفضاء الحضري من حيث تنظيمه وتسييره في طبيعة هذه السلوكيات، لاسيما داخل الفضاءات العمومية التي تشكل مجالا لممارسة تصورات الأفراد حول النظافة والإنتماء إلى المكان، كما قلنا فالمدينة ليست مجرد بنية مادية تتشكل من أحياء وشوارع ومرافق عامة بل هي نسيج من العلاقات الإنسانية والقيم المشتركة والانساق الثقافية التي يعيد الافراد إنتاجها في تفاعلاتهم اليومية مع

الفضاء العمومي، فالطريقة التي يتعامل بها الفرد مع محيطه الحضري تعكس مدى ارتباطه بهذا الفضاء وإحساسه بالمسؤولية اتجاهه هذا ما يجعل من الفضاء العمومي مرآة تعكس مستوى الوعي الجماعي و الثقافة الحضارية لمجتمع ما.

إلا أن الواقع الحضري تحول إلى فضاء تمارس فيه سلوكيات سلبية اتجاه البيئة، خاصة ما يتعلق برمي النفايات وتلويث المحيط، هذا التحول لا يمكن فهمه بمنعزل عن السياق الاجتماعي و التاريخي الذي نشأت فيه المدن الجزائرية، فقد عرفت هذه الأخيرة تحولات ديموغرافية وعمرانية متسارعة لم تواكبها تحولات ثقافية متوازية، مما أظهر فجوة واسعة بين المدينة وساكنيها، إضافة إلى ذلك الانتقال من البيئة الريفية إلى البيئة الحضرية لم يصاحبه دائما استيعاب حقيقي لمتطلبات الحياة الاجتماعية في الفضاء العمومي، ما جعل من السلوكيات السلبية على البيئة امتدادا لأنماط تعامل مع البيئة تنتمي لسياق اجتماعي آخر .

في هذا السياق تبرز الممارسات البيئية المتعلقة برمي النفايات كظاهرة اجتماعية وثقافية تعكس علاقة الفرد بالمدينة وبالفضاء العمومي عن تصوراته ومستوى وعيه الثقافي حول النظافة والتحضر، فرمي النفايات في الأماكن العامة هو ممارسة اجتماعية تحكمها منظومة من التمثلات والمعتقدات المرتبطة بمفهوم الملكية العامة والخاصة وليست مجرد تصرف فردي عشوائي، من بين هذه العوامل التي تساهم في تشكل هذه الممارسات طبيعة المنظومة القيمية السائدة في المجتمع حول معنى النظافة وعلاقتها بالهوية الحضرية ومستوى التربية البيئية التي خلقها الفرد في محيطه ودرجة فاعلية السياسات العمومية في مجال تسيير النفايات الحضرية.

انطلاق من ذلك، يطرح سؤال الإشكالية لهذه الدراسة كالآتي: كيف تتشكل الممارسات البيئية المرتبطة برمي النفايات داخل الفضاء الحضري بمدينة وهران؟ وما الخلفيات الاجتماعية والثقافية التي تفسر التباين بين نموذج المدينة المتحضرة كما يفترض أن تكون والواقع الحضري كما يمارس فعليا؟

فرضيات الدراسة:

لفك رموز هذه الممارسات البيئية وفهم خلفياتها الثقافية والاجتماعية و استنادا لما لوحظ في الدراسة الاستطلاعية، تنطلق الدراسة من فرضيتين مركزيتين و هي ليست أحكاما نهائية بل خيوط موجهه للعمل الميداني قابلة للتحقق أو التعديل في ضوء المعطيات الاثنوغرافية، تمثلت الفرضية الأولى يشكل الفرد سلوكا بيئيا خاصا به في المدينة نتيجة تفاعله مع الفضاء الحضري وقوانينه، اما الفرضية الثانية تقوم حول غياب الوعي البيئي الجماعي و الفردي داخل الفضاءات العامة.

إن السلوك البيئي للفرد داخل الفضاء الحضري لا ينشأ من فراغ بل هو مجموعة من التفاعلات المتراكمة التي تجمع بين الفرد وبين الفضاء الحضري بمكوناته المادية والرمزية، فالفرد داخل المدينة لا يكتفي بالعيش فيها على أساس مكان جغرافي فقط بل يدخل في علاقة تفاعلية مستمرة مع هذا الفضاء، فهو من خلالها يعيد تشكيل تصوراته وسلوكياته اليومية و قيمه وفق ما يوفره له هذا الفضاء من إمكانات أو ما يفرضه عليه من قيود منها البيئة العمرانية للمدينة و ما توفره من مرافق ومساحات عامة سواء كانت مهيئة أو مهملة والمنظومة القانونية والتنظيمية السائدة التي تضبط السلوك داخل الفضاءات العمومية، فالفرد حين يجد نفسه في فضاء حضري منظم تسوده آليات رقابة اجتماعية فإنه يدرج قيم النظافة والاحترام والمسؤولية البيئية في سلوكه اليومي ويعيد انتاجها، باختلاف حين يجد نفسه يعيش في فضاء يغلب عليه الإهمال وتغيب عنه الرقابة وتنعدم فيه البنى التحتية الملائمة فإنه يبدي سلوكا بيئيا يتكيف مع هذا الواقع المتردي، ليس بالضرورة عن قناعة بل أحيانا يستسلم لحقيقة المكان و صورة الفوضى السائدة فيه، وعليه فإن السلوك البيئي الخاص الذي يكونه الفرد في المدينة هو انعكاس العلاقة الجدلية القائمة بين ما يفرضه الفضاء الحضري وما يحمله الفرد من موروث ثقافي وقيمي، كما المؤشرات التي تكشف عن مستوى الثقافة الحضرية لمجتمع ما هي الوعي

البيئي إذ يتعدى مفهومها مجرد معرفة الفرد بأهمية المحافظة على البيئة فهو يشمل درجة استيعابه له وترجمتها إلى سلوكيات يومية ملموسه المحيط العام.

لم يخلُ مسار إنجاز هذا البحث من جملة من الصعوبات التي واجهتنا في مختلف مراحله، وقد انعكست بشكل مباشر على سير العمل الميداني وعلى طبيعة المادة التي تمكّنا من جمعها، حيث تمثّلت الصعوبة الأولى في ضيق الوقت المخصص لإنجاز الدراسة، إذ إن البحث السوسيو–أنثروبولوجي الميداني بطبيعته يستلزم وقتاً كافياً للاندماج في الميدان وبناء علاقة مع المبحوثين وتتبع الظاهرة في سياقاتها المتنوعة وعبر فترات زمنية متباينة. غير أن الإطار الزمني المفروض على مذكرة الماستر لم يمنحنا هذه المساحة الكافية، مما اضطرّنا إلى الاكتفاء بجولات ميدانية محدودة لم تُتح لنا رصد الظاهرة في كامل تعقيدها وتنوعها، ولا مقارنة السلوكيات عبر أوقات مختلفة من اليوم أو الأسبوع. وهذا القيد الزمني يُعدّ من أبرز الحدود المنهجية التي تعترض الباحث المبتدئ الذي يجد نفسه أمام موضوع غني ومتشعب في مقابل وقت ضيّق لا يتناسب مع حجم المتطلبات الميدانية.

أما الصعوبة الثانية فكانت من أكثر الصعوبات حضوراً وتأثيراً على مسار البحث، وتتمثل في عزوف كثير من الأفراد عن الخضوع للمقابلة أو الإفصاح عن آرائهم وتجاربهم بصراحة. وقد لاحظنا أن هذا العزوف كان يتصاعد بشكل لافت حين يعلم المبحوثون أننا طلاب جامعيون نُجري بحثاً أكاديمياً، إذ سرعان ما يتساءلون في صراحة أحياناً وفي تحفظ أحياناً أخرى عن الجدوى العملية من هذه الدراسة وعمّا إذا كنّا قادرين على إيصال انشغالاتهم إلى الجهات المعنية أو تقديم حلول فعلية للمشكلات التي يعيشونها. وهذا الموقف يعكس في العمق أزمة ثقة بين المواطن والمؤسسة الأكاديمية من جهة، وخيبة أمل متراكمة اتجاه الدراسات والبحوث التي لا تترجم إلى تغيير ملموس في الواقع من جهة أخرى، فالمبحوث في هذا السياق لا يرفض البحث العلمي

في حد ذاته بل يرفض أن يكون مجرد مادة خام لدراسة لن تُغيّر شيئاً في حياته اليومية، وهو موقف مفهوم ومشروع يضع الباحث الميداني أمام مسؤولية أخلاقية ومنهجية في آنٍ واحد، تتمثل في إعادة التفكير في طريقة تقديم البحث وبناء الثقة مع المبحوثين قبل الشروع في أي حوار معهم.

وإلى جانب ما سبق، واجهتنا صعوبة ثالثة لا تقل أهمية عن سابقتيها، تتمثل في شُح المراجع والدراسات المتاحة باللغة العربية في مجال أنثروبولوجيا الفضاء الحضري والممارسات البيئية. فمعظم الأعمال النظرية الكلاسيكية المؤسِّسة في هذا الحقل المعرفي، سواء تعلّق الأمر بأنثروبولوجيا النظافة والقذارة كأعمال ماري دوغلاس، أو بسوسيولوجيا الفضاء العام والتفاعل الرمزي كأعمال إيرفينغ غوفمان وغيره، قد كُتبت في معظمها باللغتين الفرنسية والإنجليزية ولم تُترجم بالكامل إلى العربية، مما اضطرّنا إلى الاشتغال على مصادر بلغات أجنبية وبذل جهد إضافي في استيعاب مفاهيمها ونقلها إلى السياق العربي بدقة ووضوح. فضلاً عن ذلك، تبيّن لنا أن الدراسات الميدانية التي تتناول الفضاء الحضري الجزائري تحديداً من منظور سوسيو–أنثروبولوجي شحيحة جداً مقارنةً بما هو متاح حول السياقات الغربية أو حتى المشرقية، وهو ما جعل مهمة بناء الإطار النظري والمقارن أكثر تعقيداً وتطلّبت منّا جهداً استثنائياً في البحث والتمحيص للوصول إلى مراجع ذات صلة حقيقية بموضوع دراستنا وسياقها الجغرافي والثقافي.

الإطار المفاهيمي:

1- المدينة:

اختلف العلماء في أصل اشتقاق كلمه المدينة، عرفت في المعاجم العربية بأنها المصر الجامع، وجمعها مدائن و مدن، و يقال المدنية أي الحضارة واتساع العمران.(مجمع اللغة العربية،1998) و أيضا تمدن أي عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة.(مجمع اللغة العربية، 2004،ص572)

عرف ابن خلدون المدينة بأنها أمصار تمتلك أبنية كبيرة وأجرام وهياكل عظيمة ، وهي عامة حيث تحتاج إلى التعاون واجتماع الأيدي من أجل اختطاط المدن وتمصيرها، و مميز ابن خلدون في مقدمته بين عمران الحضر وعمران البادية معتبرا أن الحضر هو المرحلة المتقدمة من التنظيم الاجتماعي التي تتحول فيها الحاجات الضرورية إلى ترف وكماليات.(ابن خلدون، 2004،ص340،338)، و عرفها لويس ويرث بأنها المركز الذي تنتشر فيه تأثيرات الحياة الحضرية إلى أقصى جهات من الأرض، ومنها يتخذ القانون الذي يطبق على جميع الناس، كما قدم تعريفا آخر تمثل في أن المدينة عبارة عن موقع دائم للإقامة يتميز بكبر الحجم وارتفاع الكثافة السكانية، يسكنه أفراد غير متجانسين اجتماعيا ، وقد ركز هذا التعريف على ثلاث متغيرات جوهرية هي الحجم والكثافة وعدم التجانس الاجتماعي.(Wirth,1938,p24,) و في تعريف ماكس فيبر على أنها ذلك الشكل الاجتماعي الذي يؤدي إلى ظهور أنماط متعددة وملموسة في أساليب وطرق الحياة مما يسمح بظهور أعلى درجات الفردية الاجتماعية وهي بذلك وسيلة للتغيير الاجتماعي التاريخي(weber,1958,p65) كما اعتبرها روبرت بارك مكانا ونظاما أخلاقيا، ورأى أنه يجب وصف المدينة من خلال التحليل الوظيفي من أجل إظهار إمكانيات الحياة الثقافية والأخلاقية.(Robert,1925,p46)

إذا فالمدينة هي مجال حضري تتم داخله تفاعلات اجتماعية و ثقافية و سياسية تتشكل بفعل الأفراد و العلاقات الاجتماعية داخل بيئة عمرانية محددة.

2- الفضاء الحضري:

ذكر في لسان العرب بأن الفضاء من الجذر "فضا" أي اتسع وانكشف، يقال فضا المكان أي اتّسع و خلا من الحواجز، والفضاء هو المكان الواسع المنبسط الذي لا يحده حاجز، وحضري نسبة إلى "الحضر" وهو الإقامة في المدن والقرى في مقابل البدو والريف.(ابن منظور، ص550)

يعرف هانري لوفيفر في كتابه" إنتاج الفضاء" الفضاء الحضري بأنه ليس معطى طبيعيا محايدا بل هو بناء اجتماعي ينتج ويعاد انتاجه باستمرار عبر الممارسات اليومية وأنظمة السلطة والعلاقات الاجتماعية ، وقد ميز بين ثلاث مستويات للفضاء، أولا الفضاء المدرك حسيا أي الممارسات المكانية، ثانيا الفضاء المتصور وهو تمثلات الفضاء كالخرائط والتخطيط وأخيرا الفضاء المعاش وهو الفضاء التمثيلي الذي يسكنه الأفراد ويضفون عليه معانيهم.(lefebrve,1991,p33)

إذا فالفضاء الحضري هو شبكة مادية واجتماعية تضم كل من المباني والطرقات ويتفاعل داخلها الافراد وينتجون سلوكيات يومية تربطهم بالبيئة المحيطة.

3 -الفضاء العمومي:

العموم من الجذر "عمّ"، عم الشيء، عموما أي شمل.(مجمع اللغة العربية،2004،ص629)

ويعرف يورغن هابرماس الفضاء العمومي على أنه المجال الذي يلتقي فيه الأفراد كمواطنين أحرار للتداول العقلاني بعيدا عن سلطه الدولة والسوق.(Habermas,1989,p27)

عرفه ريتشر سنيت في كتابه" سقوط الإنسان العام" بأن الفضاء العمومي هو المجال الذي يتجاوز فيه الأفراد خصوصياتهم ليلتقوا كأعضاء في مجتمع واسع، وأنه الشرط الضروري للحياة المدنية والمشاركة الاجتماعية.(Sennett,1977,p16)

إذا يمكن تعريف الفضاء العام على أنه مجال جغرافي مفتوح داخل نسيج حضري يتمتع أفراده بالحرية ويستخدمونه لأغراض متعددة تشكل تفاعلاتهم اليومية داخله.

4- البيئة:

استخدمت كلمة البيئة في اللغة العربية منذ القديم وهي اسم مشتق من الفعل الماضي "باء"، وقد استخدم هذا الفعل في أكثر من معنى لكن هذه المعاني هو ما كان في أصله اللغوي يرجع إلى الفعل باء ومضارعه يتبوأ.(بوربيع،2010،ص22)

البيئة هي المنزل وما يحيط بالفرد أو المجتمع ويؤثر فيهما، يقال بيئة طبيعية وبيئة اجتماعية وبيئة سياسية.(مجمع اللغة العربية،1998.ص66)

ظهرت كلمة البيئة (Environment) في اللغة الإنجليزية في القرن 19، و استخدمت للدلالة على جميع الظروف الخارجية المحيطة والمؤثرة في نمو وتنمية حياة الكائنات الحية.(قادر،2009،ص16)

أما في اللغة الفرنسية فتعرف البيئة على أنها مجموعة الظروف الطبيعية للمكان من هواء وماء أرض و الكائنات الحية المحيطة بالإنسان و التي تشمل الكائنات وما تحتويه من مواد وما يقيمه الإنسان من منشآت.(بوربيع،2010،ص27)

لم يختلف تعريف البيئة الإصطلاحي عن التعريف اللغوي فرغم تعدد الميادين لم يتغير تعريفها إلا في جزئيات، فعرفها التشريع الجزائري على أنها تتكون من الموارد الطبيعية اللاحيوية والحيوية كالهواء، الجو الماء، الارض، باطن الارض، النبات والحيوان، وما في ذلك التراث الوراثي وأشكال التفاعل بين هذه المواد وكذا الأماكن، المناظر والمعالم الطبيعية.(كحلي،2008،ص4)

وفي تعريف آخر صادر عن مؤتمر ستوكهولم للبيئة القائل بأنها كل شيء يحيط بالإنسان .(الشريف،2007،ص82)

أما دائرة المعارف الجغرافية فتعرفها على أنها المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ويقوم فيه بعملية الإنتاج ويحتوي على مواد حية وغير حية، وتتحكم فيه العوامل الاجتماعية و الاقتصادية وهو يتكون من المحيط الطبيعي والاجتماعي، أو هي كل ما يحيط بالإنسان أو الحيوان أو النبات من مظاهر وعوامل تؤثر في نشأته وتطوره ومختلف مظاهر حياته.(بوربيع،2010،ص28)

إذا فالبيئة هي ذلك الوسط المادي الذي يعيش فيه الإنسان وباقي الكائنات الحية، وما يحتويه من عناصر طبيعية و صناعية بفعل الإنسان مؤثرا فيه و متأثرا به.

هناك مصطلح آخر شاع إلى جانب مصطلح البيئة وهو الايكولوجيا Ecology وهو حق معرفي جديد ظهر في أوائل القرن العشرين ليعنى بدراسة العلاقة التفاعلية بين الطبيعة والإنسان، فالبشر هم في تفاعل مستمر مع البيئة التي يعيشون فيها، ولا تضم البيئة مجرد الأرض والبحر والهواء والعناصر الطبيعية الأخرى وإنما تضم فضلا عن كل هذا الكائنات الحية الكثيرة والمتنوعة التي تشارك الإنسان في عالمه.. وقد أدخلت كلمة إيكولوجيا لأول مرة إلى علوم البيولوجيا على يد عالم الأحياء الألماني أرسنت هيكل Ersent Heackel في عام 1869 للإشارة إلى العلاقة المتبادلة بين النباتات والحيوانات التي توجد معا في بيئة طبيعية معينة.(أبو زيد،1987،ص102)

5- الممارسات البيئة:

يقال مارس الشيء مِراسا، وممارسة الشيء: عالجه وزاوله ،يقال: مارس قرنه ومارس الأمور والأعمال.(مجمع اللغة العربية،2004،ص893)

تتعدد التعريفات لمفهوم الممارسات البيئية ضمن المجالات الاقتصادية والإدارية حيث انطلق معظمها من منطلق مؤسساتي صناعي بعيد عن الاهتمام الانثروبولوجي بالفعل الاجتماعي، عرف السلوك البيئي بأنه تحقيق زيادة في النمو تترافق مع الحد من تخريب البيئة وحمايتها من التلوث بترشيد عملية الاستهلاك وتقليل هدر الموارد.(زدوري،2024،ص265،244)

في تعريف آخر مرتبط بمنظومة معايير ESG التي تشمل الأداء السليم للبيئة الطبيعية من انبعاثات وتنوع بيولوجي وكفاءة في استخدام الموارد (غلاب،2023،ص617،601)، و في مفهوم آخر اعتبرت الممارسات

البيئية على أنها مجموع الإجراءات التي تتبناها المؤسسة الصناعية من إدارة بيئية وفق معايير ISO14001 و تطبيق تكنولوجيات الإنتاج الأنظف.(دهيمي،2019،ص93)

و يركز مفهوم الممارسة عند بورديو على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي وهي العلاقة التي تنتهي بأن يقوم الفاعل بإعادة انتاج هذا البناء، وبمعنى واضح فإن بورديو يؤكد على أن الممارسة هي الفعل الاجتماعي الذي يقوم فيه الفاعلون بالمشاركة في انتاج البناء الاجتماعي وليس مجرد أداء أدوار بداخله.(دباب،2021،ص144)

من خلال التعريفات السابقة فالممارسات البيئية ضمن دراستنا تعني مجموع الأفعال الاجتماعية اليومية التي يقوم بها الأفراد في علاقتهم بالفضاء الحضري العام، سواء بطريقة تعاملهم مع النفايات أو بالحفاظ على نظافة المحيط، انطلاقا من القيم والتصورات والعادات المكتسبة والتي تتشكل من خلال تفاعل الفرد المستمر مع محيطه الاجتماعي.

6- السلوك:

يعرف السلوك بأنه سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال فلان حسن السلوك أو سيء السلوك، وفي علم النفس هو الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه .(مجمع اللغة العربية،2004،ص445)

يقصد بالسلوك الانساني كل أوجه النشاط التي يمكن ملاحظتها أثناء تفاعل الإنسان مع البيئة، وهو قابل للملاحظة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. (حجار،2024،ص132

ويعرفه صالحة شعيب ومحمد عثمان بأنه كل ما يقوم به الفرد من أنشطة مختلفة، و ما يؤتيه من أفعال وردود أفعال في حياته اليومية وفي علاقاته مع الاخرين، وهو مجموعة التصرفات الخارجية والداخلية

التي يسعى عن طريقها الفرد لتحقيق عمليه التوافق بين مقومات وجودة ومقتضيات الإطار البيئي الذي يعيش داخله.(شعيب و عثمان، 2012،ص77)

يعرفه محمود عكاشة كذلك بأنه مجموعة الأنشطة المتعددة التي يقوم بها الإنسان في حياته لكي يتكيف مع متطلبات البيئة والحياة المحيطة به، وهذه الأنشطة هي حصيلة التفاعل بين العوامل الشخصية والعوامل البيئية، هذه الأنشطة سواء كانت داخلية أم خارجية، أي بمعنى ظاهرة مثل التفكير والتخيل التي لا تستطيع ملاحظتها، أو تكون على شكل تعبيرات لفظية أو غيرها، مما يجعلنا نستطيع ملاحظة أنواع وأبعاد سلوك الإنساني.(عكاشة و شفيق، 1998،ص10)

من خلال ما سبق من تعريفات يمكن تعريف مفهوم السلوك على أنه مجموعة من الأفعال والتصرفات التي يقوم بها الفرد داخل بيئته وتكون ظاهرة أو غير ظاهرة.

7- السلوك البيئي:

يعرف السلوك البيئي على أنه ذلك النشاط الذي يصدر من الكائن الحي كنتيجة لعلاقته بظروف بيئية معينة، والمتمثل في محاولاته المتكررة للتعديل والتغيير في هذه الظروف حتى يتناسب مع مقتضيات حياته.(ميهوب و مالك،ص121)

وعرفه قاموس البيئة الصادر سنة 1993 أنه استجابة الكائن الحركية أو المنظورة للمؤثرات التي تتراوح بين الاستجابة التلقائية المبرمجة جينيا في الكائنات الدنيا إلى الاستجابة الخارجية البيئية التي تخضع للتجربة والتعلم في الحيوانات الدنيا.

وعرفه كولومبير وآخرون 1999 بأنه الطريقة التي يسلك بها الفرد في الحياة اليومية والتي قد تعبر عن السلوكيات الصديقة للبيئة والسلوكيات غير الصديقة. (ضاهر، ص43)

ويعرفه العتيق على أنه تفاعل نشيط بين الفرد وبيئته، حيث يتكون من ثلاث أجزاء: الجزء الأول هو محاولة استكشافية بسيطة توجه الفرد في بيئته، والجزء الثاني يهدف إلى تكوين تعميمات تمكنه من استخدام البيئة لتلبية احتياجاته وأهدافه، أما الجزء الثالث فهو مرتبط بتحقيق الثقة والشعور بالأمن داخل البيئة، و يتأثر هذا النشاط بالمعاني والانفعالات البيئية وتقييم البيئة.(العتيق، 2011،ص11)

إذا يمكن فهم سلوك البيئي على أنه كل ما يصدر من أفعال وتصرفات الفرد نحو بيئته التي يعيش فيها.

8- الوعي البيئي:

وعى الشيء: يعيه وعيا، أي حفظه و فهمه وقبله، و أوعى الشيء وعاه وحفظه، و وعى الأمر أي أدركه على حقيقته.(مجمع اللغة العربية، 2004،ص1044)

تتعدد معاني الوعي وتختلف إما ضيقا أو اتساعا، لكن مجملها يقر أن الوعي يشير إلى الإدراك والإحاطة والفطنة والحفظ والتقدير والفهم. (الزمخشري، 1983،ص581

الوعي كلمة لاتينية الأصل(Conscienta) تعني معرفة الأشياء على نحو مستمر، فالوعي هو الأفكار التي تمر في عقل الإنسان، كما أنه عملية أو حالة من الإدراك لخبرات ذاتية في لحظة معينة.(ناظر، 2014،ص26)

و تختلف مفاهيم الوعي حسب كل فرع و تخصص، فحسب رواد التحليل النفسي الوعي هو تكوين نفسي منطقي وتوافق مع نمط معين من البيئة ترتبط به الطاقة العقلية من خلال الرموز اللفظية وبالتالي يتشكل بها.(شربال و بلعيور، 2018،ص100)

أما في علم الاجتماع فذكر في قاموس علم الاجتماع أنه اتجاه عقلي مستمد من الواقع حيث يمكن للفرد إدراك ذاته وبيئته ومجتمعه من حيث أنه عضو فيه(غيث، 1979،ص88) و يعرف الوعي أيضا بأنه أداء الفرد لاستجابة سريعة ناتجة عن تأثره وجدانيا بمعلومات ومعارف بيئية حول موقف أو مشكلة بيئية من حيث أسبابها وآثارها ويشمل المعرفي والوجداني.(مهرية،2020،ص973،950)

من خلال هذه التعريفات يمكن تقديم مفهوم الوعي البيئي بأنه شعور الإنسان بالإدراك لأفكاره وأفعاله داخل بيئته ومجتمعه.

9- النفايات:

وردت في المعاجم العربية بأن النفاية ما أبعد من الشيء لرداءته.(مجمع اللغة العربية، 2004،ص943)

كما لا يوجد في واقع الأمر تعريف موحد للنفايات بل هناك تعاريف مختلفة، قد تلتقي في بعض الجوانب لكنها تختلف في الكثير منها، فلعل ما يعتبر نفاية لدى البعض قد يكون للبعض الآخر قابلا للاستهلاك أو الاستخدام. من المهم الإشارة أولا إلى تعريف وزارة تهيئة الإقليم والبيئة للنفايات "هي كل النفايات الناجمة عن الأسر إلى جانب نفايات الأنشطة الصناعية، التجارية، الحرفية أو أنشطة أخرى، ونظرا لمواصفاتها والكميات المنتجة يمكن جمعها ومعالجتها دون أن تكون خاضعه لتقنية خاصة.(النمر، 2009،ص5) ،أما

الباحث الفرنسي Bertoni Gérard المختص في دراسة النفايات عرفها كالآتي " النفاية إذا لم تكن المرآة العاكسة فعلى الأقل هي انعكاس(Reflect) للمجتمع، فالنفاية تعكس الثقافة و القيم.(النمر، 2009،ص6)

كما عرفها البعض على أنها أية مواد عديمة الفائدة ولا يحتاجها الإنسان، ويجب التخلص منها أو إعادة استعمالها بعد تدويرها. أما الدكتور معمر رتيب محمد عبد الحافظ فقد عرفها كالآتي :هي أية مواد لم يعد لها قيمة اقتصادية وناتجة عن الاستخدام العادي أو الصناعي للإنسان، ويتم التخلص منها في عناصر البيئة المائية أو الجوية أو الأرضية بطريقة آمنة طبقا لأحكام القانون الوطني والدولي، وهي تكون إما مواد صلبة أو سائلة أو غازية.(معمر و محمد،2008،ص18)

يمكن تعريف النفايات بأنها مجموعة بقايا ومخلفات العمليات الإنتاجية وكل ما هو غير صالح للاستعمال والاستهلاك من طرف الإنسان.

10- النظافة و القذارة:

النظافة: نظُفَ، نظافة: نقي من الدنس فهو نظيف، جمعها نظفاء.(مجمع اللغة العربية، 2004،ص933)

القذارة: قذِرَ، قذَراً: أي اتسخ، والشيء كرهه لوسخه واجتنبه.(مجمع اللغة العربية،2004،ص721)

نظرا لغياب تعريف لمفهوميّ النظافة والقذارة في الأدبيات الجزائرية المرتبطة بالدراسات البيئية، يرجع اعتمادنا على أطروحة ماري دوغلاس، حيث يعد كتابها Piruty and danger من أبرز المراجع الأنثروبولوجية التي تناولت هذين المفهومين في أبعادهما الاجتماعية والرمزية وعلاقتهما بالفضاء والسلوك الانساني.

تصف ماري دوغلاس بأن النظافة ليست غيابا للجراثيم أو الوساخة المادية بل هي حالة انتماء الشيء إلى نظامه الرمزي والاجتماعي المناسب، أي أن النظافة هي الإمتثال لنظام التصنيف الثقافي السائد في مجتمع، و في تعريفها للقذارة تقول بأنها في جوهرها فوضى... ليس ثمة قذارة مطلقة، إنها موجودة في عين الناظر فحسب... والقذارة تعد خرقا للنظام، إزالتها ليست حركة سلبية بل هي جهد إيجابي لتنظيم البيئة.، وعباراتها الشهيرة القائلة بأن القذارة ليست إلا مادة في غير مكانها .(Douglas,2001,p36,44)

خطة الدراسة:

يضم هذا البحث فصلين رئيسيين نسعى من خلالهما إلى الكشف عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية للممارسات البيئية المرتبطة برمي النفايات في الفضاء الحضري بمدينة وهران، بعد التعرض إلى المقدمة العامة التي شملت العناصر الأساسية من أهمية الموضوع ودوافع اختياره والدراسات السابقة والإشكالية والفرضيتين المركزيتين، فضلاً عن إطار مفاهيمي ضم تعريفات المفاهيم المحورية كالمدينة والفضاء الحضري والممارسات البيئية والنفايات والنظافة والقذارة والسلوك البيئي والوعي البيئي وغيرها.

خصصنا الفصل الأول للإطار النظري للدراسة، حيث قسم إلى ثلاثة مباحث:

تناول المبحث الأول المدينة والفضاء الحضري من منظور سوسيو–أنثروبولوجي، وعالج مطلبه الأول المدينةَ بوصفها فضاءً اجتماعياً وثقافياً وتراكماً تاريخياً حياً، فيما تناول المطلب الثاني الفضاء العمومي الحضري وما يدور داخله من ديناميكيات الاستخدام اليومي والتعديات والإشكاليات البيئية، أما المطلب الثالث فقد توقف عند ظاهرة التحضر في السياق الجزائري وما أفرزه من تحولات عميقة في أنماط السلوك الاجتماعي والبيئي.

وانصبّ المبحث الثاني على مفهوم النظافة والقذارة والنفايات بوصفها بناءات ثقافية ورمزية لا حقائق موضوعية محايدة، إذ اهتم المطلب الأول بالمقاربة الأنثروبولوجية الرمزية لماري دوغلاس لفهم كيف تنتج المجتمعات تصوراتها حول الطاهر والنجس، وتوسّع المطلب الثاني في قراءة رمي النفايات بوصفه ظاهرة اجتماعية وثقافية ذات بنية وقوانين، في حين كشف المطلب الثالث عن الأسباب العميقة للفجوة القائمة بين الوعي البيئي والممارسة الفعلية.

أما المبحث الثالث فقد جمع المقاربات النظرية والمحددات السوسيو–ثقافية في منظومة تحليلية متكاملة، حيث استدعى مطلبه الأول نظرية علم النفس المحيط لفيشر لتفسير أثر الفضاء الحضري في تشكيل سلوك قاطنيه، وعرض المطلب الثاني التفاعلية الرمزية عند غوفمان أداةً لقراءة الأبعاد الرمزية والأدائية للممارسات البيئية اليومية، وختم المطلب الثالث بالوقوف عند المحددات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تتشابك في إنتاج سلوك رمي النفايات داخل الفضاء الحضري.

أما الفصل الثاني فخُصص للجانب الميداني من الدراسة، تضمن أربعة مباحث تحليلية:

تناول المبحث الأول السلوك الموروث داخل الحي والأسرة من خلال ثلاثة عناوين فرعية هي: الحي بين الذاكرة والسلوك الراهن، والأسرة ناقلةً للمنظومة القيمية البيئية، والفجوة الرمزية بين الفضاء الخاص والفضاء العمومي وتناول المبحث الثاني الممارسات الاعتيادية وإعادة إنتاجها في ثلاثة عناوين هي: التكيف مع المشاهد السلبية وانهيار الرقابة الاجتماعية، والتقليد والمحاكاة بوصفهما آليتين لانتشار الممارسة، وتأثير الفضاء الحضري في إعادة إنتاج السلوك.

فيما تناول المبحث الثالث أثر التنشئة الاجتماعية في تشكيل السلوك البيئي من خلال: الأسرة مؤسسةً تنشيئيةً أولى، والمدرسة بين الأدوار المنتظرة والواقع العملي، والفجوة بين الخطاب البيئي والممارسة الفعلية.

وختم المحور الرابع بتحليل الهابيتوس الحضري وإعادة إنتاج الممارسة البيئية عبر: الهابيتوس بوصفه استعداداً جسدياً ورمزياً مستدخَلاً، والعلاقة الجدلية للهابيتوس بالفضاء، وإمكانية تحوّل الهابيتوس ومسارات إعادة تشكيله.

ثم خاتمة تضم حوصلة لكل جوانب الدراسة والنتائج التي خلصنا إليها والتحقق من الفرضيتين المقترحتين، يتبعها الملاحق و قائمة المصادر والمراجع و الملخص.

الفصل الأول: الإطار النظري للدراسة

المبحث الأول: المدينة و الفضاء الحضري مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية

المطلب الأول: المدينة بوصفها فضاءً اجتماعيا و ثقافيا

المطلب الثاني: الفضاء العمومي الحضري وديناميكيات الاستخدام اليومي

المطلب الثالث: التحضر و أثره على أنماط السلوك الاجتماعي و البيئي

المبحث الأول: المدينة و الفضاء الحضري مقاربة سوسيو–أنثروبولوجية

تمهيد:

لا يمكن الحديث عن الممارسات البيئية في الفضاء الحضري دون الإنطلاق من فهم عميق للمدينة بوصفها الإطار الذي تتشكل فيه هذه الممارسات، فالمدينة ليست مجرد تجمع مادي من المباني والطرقات بل هي بنية اجتماعية وثقافية معقدة تتشابك فيها العلاقات الإنسانية وتتقاطع فيها التمثلات والقيم والممارسات اليومية، ومن هذا المنطلق يسعى هذا المبحث إلى تأطير المفاهيم الأساسية المرتبطة بالمدينة والفضاء الحضري من منظور سوسيو–أنثروبولوجي يتجاوز الفهم الهندسي والجغرافي، نحو فهم أعمق للأبعاد الاجتماعية والثقافية و الرمزية للفضاء المدروس.

يتناول هذا المبحث المدينة بوصفها فضاءً اجتماعيا وثقافيا تتشكل فيه الهويات وتنتج فيه المعاني ثم تنتقل إلى الفضاء العمومي الحضري بوصفه المجال المشترك الذي يلتقي فيه الأفراد و يتفاوضون فيه على قواعد التعايش والاستخدام اليومي، وأخيرا يتطرق المبحث لظاهرة التحضر وما تفرزه من تحولات عميقة في أنماط السلوك الاجتماعي والبيئي للأفراد داخل الفضاء الحضري.

المطلب الأول: المدينة بوصفها فضاء اجتماعيا وثقافيا

تعد المدينة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية والحضارية التي أفرزها التطور الإنساني عبر التاريخ، حيث لا يمكن حصرها في مجرد تجمع سكاني أو بناء عمراني بل هي فضاء اجتماعي وثقافي تتشكل فيه العلاقات الإنسانية وتتم فيه الممارسات اليومية للأفراد. إن الطرح الصوصيو–أنتروبولوجي هو الأكثر إحاطة بأبعاد المدينة الحقيقية على عكس التخصصات الأخرى التي نظرت إليها من زوايا متعددة.

أولا: المدينة ظاهرة اجتماعية

المدينة ظاهرة اجتماعية بامتياز فهي "أكثر من مجرد جزء من أجزاء المجتمع، وهي تمثل حقيقة اجتماعية تعبيرا عن الممارسات الجمعية للسكان الذين يعيشون ويعملون معا...و تتبدى العلاقات الاجتماعية المتبادلة والإنجازات الحضرية ".(رشوان، 2013،ص53) ،إذا فالمدينة ليست مجرد مكان للإقامة بل هي إطار للتفاعل والتضامن والصراع بين أفراد يحملون ثقافات وانتماءات مختلفة، وفي هذا السياق يرى روبرت بارك أن المدينة " مكان إقامة طبيعي للإنسان المتحضر، ولهذا فهي تعتبر منطقة ثقافية تتميز بنمطها الثقافي المتميز ".(غيث، 1983،ص130) ،مؤكدا أنها ليست " مجرد تجمعات من الناس مع ما يجعل حياتهم فيها

ممكنا مثل الشوارع والمباني والكهرباء و وسائل المواصلات، كما أنها ليست مجموعة من النظم والإدارات... فالمدينة فوق هذا كل اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد ".(الخواجة،2008،ص60)، و تزداد هذه الصورة وضوحا حين ننظر إلى المدينة من زوايا التحليل السوسيولوجي للفضاء العمراني الذي يركز على التفاعل القائم بين الفضاء والمجتمع.

و قد أبرز الباحث جنيد حجيج هذه العلاقة بقوله إن" تنظيم الفضاء ظاهرة اجتماعية لا يمكن التقرب منها وفهمها إلا بالرجوع المباشر للظواهر الاجتماعية الأخرى، دراسة الفضاء معناه إبراز التفاعلات القائمة بين الفضاء والمجتمع" (أمقران، 2007،ص189)، وهذا ما أكده أيضا ريمي و فوييه حين أشارا إلى أن "التحليل الذي يقوم على البنية الاجتماعية يفترض وجود تعارض المصالح، وجود تناقضات ومساحات يغيب فيها التضامن ويحضر فيها النزاع" (Jean,p59) مما يجعل الفضاء العمراني ساحة للتفاوض اجتماعي المستمر بين الفاعلين.

ثانيا: المدينة كيان ثقافي

لا تكتمل صورة المدينة دون استحضار البعد الثقافي الذي يمنحها هوية خاصة، فالأنماط الثقافية هي التي تميز بين المدن، وقد أشار دوفينيو إلى أن المدينة "مؤسسة تمثل تجمع للأفراد يحملون ثقافات مختلفة وبالتالي يحصل ذلك التقارب في العادات والتقاليد المختلفة للسكان" (Davignaud,1986,p55)، مما يجعلها فضاءً يعكس التنوع الثقافي والرمزي داخل المجتمع، ويدعم هذا الطرح بتعريف شومبار دولو(P.H.Chombart de lauwe) للمدينة باعتبارها "إطارا ماديا وتركيبة اجتماعية وثقافية " (Chombart,1965,p35) في حين يجمع غراف ماير وجوزيف بين البعدين المادي والاجتماعي معتبرين إياها "إطارا ماديا ووحدة حياة اجتماعية وتجسيد لأشياء مادية وروابط من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد"(Grafmeyer & Joseph,1998,p9) ومن منظور التحليل السوسيولوجي يتجلى بعد الثقافي للفضاء العمراني في كون "مكونات الظاهرة الحضرية تؤثر بأشكال مختلفة حسب البنى الاجتماعية والأنماط الثقافية السائدة ".(أمقران،2007،ص187)

ثالثا: المدينة فضاء للتراكم التاريخي

إن ما يميز المدينة عن غيرها من التجمعات البشرية هو أنها نتاج مسار تاريخ متراكم، فما هي" إلا نتاج تغير مستمر للحياة بها، وتجري في إطار العملية التاريخية التي أسهمت في إنشائها، وصارت اليوم حقيقة تراكمية في المكان والزمان، و يمكن استقراء تاريخيها من مجموعة التراكمات التاريخية

"(سوالمية،2018،ص101) وأكد ماكس فيبر أن المدينة" ذلك الشكل الاجتماعي الذي يؤدي إلى ظهور أنماط متعددة و ملموسة في أساليب وطرق الحياة ، مما يسمح بظهور أعلى درجات الفردية الاجتماعية، وهي بذلك وسيلة للتغير الاجتماعي التاريخي "(رشوان،1998،ص58) و تتجلى الحياة اليومية في هذا الإطار كمرآة عاكسة لهذا التراكم إذ" بينت ممارسات الأفراد اتجاه الفضاء وكيف يسقطون عليه تصوراتهم وطموحاتهم فيتحول بذلك إلى شحنة انمائية قوية" (أمقران،2007،ص187)

المطلب الثاني: الفضاء العمومي الحضري و ديناميكيات الاستخدام اليومي

إذا كانت المدينة تمثل الإطار العام الذي تتشكل فيه الحياة الاجتماعية الحديثة، فإن الفضاء العمومي الحضري يمثل القلب النابض لها، فالفضاء العمومي هو المكان الذي يلتقي فيه الأفراد الغرباء عن بعضهم ويتشارك فيه المواطنون حقهم في المدينة، و تتجلى فيه درجة الإنتماء ومستوى الوعي الجماعي، و لفهم الممارسات البيئية للأفراد داخل هذا الفضاء لابد من الوقوف أولا عند طبيعة هذا المفهوم وأبعاده النظرية والديناميكيات المعقدة التي تحكم استخدامه اليومي في السياق الحضري الجزائري.

أولا: مفهوم الفضاء العمومي الحضري

يعد مفهوم الفضاء العام من أكثر المفاهيم تعقيدا في الدراسات السوسيولوجية و الحضرية، إذ تتقاطع فيه أبعاد مختلفة وقد ارتبط هذا المفهوم تاريخيا بالفضاء اليوناني القديم " الأغورا" التي كانت عبارة عن ساحة مكشوفة يجتمع فيها السكان و تتوسطها المباني، و كانت" بمنزلة قلب المدينة النابض بحياة سكانها الذين جعلوا منها إطارا لحياتهم الاقتصادية الاجتماعية و السياسية والثقافية ".(علي،2019،ص14)

كما يعرف هابرماس الفضاء العام البرجوازي باعتباره" مجالا لمجموعة من الناس الخاصين مجتمعين معا فيشكلون جمهور، وهؤلاء الناس يطالبون بهذا المجال المقنن والمنظم من طرف السلطة، ولكنهم يطالبون به مباشرة ضد السلطة نفسها لكي يتمكنوا من مناقشتها حول القواعد العامة للتبادل، وحول ميدان تبادل البضائع والعمل الاجتماعي، وهو ميدان يبقى خاضعا بشكل أساسي ولكن أهميته أصبحت ذات طبيعة عمومية "(Habermas,1991,p33) وتكمن أهمية هذا التعريف في إبرازه الطابع التداولي والنقدي للفضاء العام بوصفه منطقه بسيطة بين المجتمع والدولة، يمارس فيها المواطنون حقهم في النقاش وتشكيل الراي العام.

أما من الناحية الجغرافية والمعمارية فيشير مصطلح الفضاء العام إلى" المساحة الفعلية التي تحتوي على جميع الأماكن في الفضاء العام، والتي يمكن الوصول إليها بحرية ومجانا ويحتفظ به لهذا الغرض، ويقابله جزء في شبكة المرور والساحات والشوارع والمساحات الخضراء "(مسعودي و شعلان،2022،ص902)، هذا

الطرح يرسخ فكرة الفضاء العام بوصفه ملكا مشتركا يحق لجميع أفراد المجتمع الاستفادة منه دون تمييز، هذا الإطار ذاته يعرفه كل من شاقلالة ودحماني بأنه" المكان الذي يتم فيه تبادل الأفكار والمعلومات و الآراء بحرية وبدون قيود، ويشمل جميع المناطق التي يتم فيها التفاعل بين أفراد المجتمع "(شاقلالة و دحماني،2023،ص6) وهو ما يجعله أساسا لحرية التعبير وحقوق الانسان.

ثانيا: أنواع الفضاءات العمومية ووظائفها

تتنوع الفضاءات العمومية في المدينة بحسب وظائفها وطبيعة التفاعل داخلها وتشكل نسيج الحياة الحضرية اليومية، فالشارع "لا يقتصر دوره على مرور المركبات و المشاة بل يعكس تفاعل الأفراد مع البيئة الحضرية، مما يجعله جزءا من نمط الحياة اليومية و مجالا لبناء العلاقات الاجتماعية " (نور الدين و مبروكي، 2025،ص77)، فيما تمثل الحدائق والساحات متنفس طبيعيا يلجأ إليه الأفراد للترفيه والاستجمام وتتيح فرص التواصل بين الأحياء المختلفة.

و للفضاءات العمومية جمله من الوظائف المختلفة إذ " يمكن تصنيفها إلى وظائف اجتماعية تتمثل في إلتقاء أفراد المجتمع الحضري لتلبية حاجاتهم وتحقيق التواصل فيما بينهم، و وظائف ثقافية تتجلى في التعبير عن الهوية الجماعية وإبراز العادات والتقاليد، إضافة إلى وظائف تجارية وتقنية تتعلق بتنظيم حركة التبادل داخل المجال الحضري ".(شاقلالة و دحماني،2023،ص21)

كما أضاف إيرفينغ غوفمان على هذه الفضاءات بعدا تفاعليا حين سماها "الأماكن العامة وشبه العامة، وتشمل الشوارع والمتنزهات والمطاعم والمسارح والمتاجر وأرضيات الرقص وقاعات الاجتماعات وأماكن التجمع الأخرى لأي مجتمع، و هي الأماكن التي تحدد سلوك الفرد في حياته اليومية" (نور الدين و مبروكي، 2025،ص75)، مما يجعلها مسرحا حقيقيا للحياة الاجتماعية بكل تعقيداتها.

ثالثا: الفضاء العمومي والبيئة الحضرية

لا يمكن فهم الفضاء العمومي بمعزل عن البعد البيئي الذي يضفي عليه طابع جمالي ووظيفي، لأن البيئة "في الوسط الحضري مصدر هام للأكسجين والهواء النقي، كما أنها تقلل من درجات حرارة المدينة وتخفف من تأثير التغيرات المناخية" (شاقلالة و دحماني،2023،ص ب)، و تؤدي المساحات الخضراء داخل الفضاءات العمومية دورا أساسيا في تحسين جودة الحياة الحضرية لما لها من تأثير إيجابي على الصحة النفسية والجسدية للسكان، وتشجع على ممارسة الأنشطة البدنية والترفيهية، وهنا يظهر بأن للحدائق العامة أهمية بالغة بوصفها نموذجا تطبيقيا للفضاء العمومي المندمج مع البيئة، وقد كشفت الدراسة الميدانية لشاقلالة

ودحماني على الحديقة العمومية للشهيد بوشارب ناصر بمدينة تيارت أن المواطنين يبدون اهتماما واسعا بالغطاء النباتي وبالحفاظ على المساحات الخضراء داخل هذه الفضاءات، غير أن ثمة تحديات جوهرية تعترض ذلك أبرزها" عدم وجود فضاءات عمومية افتراضية تسهم في نشر الوعي البيئي، ونقص الجمعيات التي تهتم بنشر الوعي والصحي "(شاقلالة و دحماني، 2023،ص3)

رابعا: ديناميكيات الاستخدام اليومي للفضاء العمومي

لا تكتمل صورة الفضاء العمومي دون فهم الديناميكيات المعقدة التي تحكم استخدامه اليومي، إذ يشكل هذا الفضاء ساحة للتفاوض المستمر بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين، فالفضاء العام يظهر" كمجال واسع تتصادم فيه المصالح تارة وتتلاقى تارة أخرى، وتتعارض المشاريع الاجتماعية والثقافية للجماعات مع مشاريع الجماعات الضعيفة التي تخضع في ظرف تاريخي ما وتثور وتتمرد في ظرف آخر"(أمقران، 2007،ص187)

هنا تبرز ظاهرة تملك الفضاءات العامة بوصفها إحدى أبرز الديناميكيات التي تشهدها الأحياء الحضرية الجزائرية، إذ تشير الدراسات إلى أن" المخططات العمرانية الجديدة التي اعتمدتها الدولة الجزائرية بمختلف الصياغة السكنية للقضاء على أزمة السكن وما نتج عنها من اختلال اجتماعي، دفع بالكثير من الأفراد إلى محاولة تملك الفضاءات العامة من أجل إنتاج أو إعادة إنتاج الاستراتيجيات والممارسات الاجتماعية لكيفية استغلال هذه الفضاءات أو تحويل هدفها النهائي "(مسعودي و شعلان،، 2022،ص900)

و يتجلى ذلك في ممارسات متعددة من ضم الأرصفة وتحويلها إلى حدائق أو مواقف للسيارات، وصولا إلى استغلال المساحات المجاورة لأغراض تجارية غير مرخصة، وتفسر نظرية علم النفس المحيط لفيشر هذه الديناميكيات بالقول" إن التملك هو السلوك الذي يترجم علاقة السيطرة المادية أو الإدراكية على مساحة معينة "(مسعودي و شعلان،2022،ص907)، ما يعني أن هذه الممارسات ليست عشوائية بل تعكس منطقا اجتماعيا وعقلانية فردية وجماعية في التعامل مع الفضاء.

خامسا: التعديات على الفضاء العمومي وأبعادها الاجتماعية

من أبرز الإشكاليات التي تواجهها المدن الجزائرية هي التعدي على الفضاءات العامة، فهي تعد ظاهرة مركبة تتشابك فيها عوامل اجتماعية واقتصادية، وتشير الدراسات إلى أن" الفضاءات العامة الحضرية تعكس التفاعلات الاجتماعية والتعديات على الفضاءات العامة ناتجة عن مجموعة من العوامل المتداخلة، وتؤدي هذه التعديات إلى تقلص المساحات المخصصة للتفاعل الاجتماعي"(نور الدين و مبروكي،2025،ص72)، ومن أبرز أشكال هذه التعديات" انتشار الباعة الجائلين الذين يشغلون الأرصفة والطرقات دون تراخيص مما يعيق

حركة المشاة وبناء أكشاك ومحلات تجارية عشوائية على حساب المساحات المخصصة للمارة، فضلا عن تدمير الممتلكات العامة مما يؤدي إلى تدهور البيئة التحتية للفضاء العام "(نور الدين و مبروكي،2025،ص81)، و تمتد هذه التعديات لتطال البعد البيئي للفضاء العمومي إذ اكتشفت الدراسة الميدانية لشاقلالة ودحماني أنه ثمة " غياب للعقوبات الرادعة على من يقوم بسلوكيات سلبية ضد البيئة إضافة إلى غياب المسابقات بين الأحياء في مجال النظافة العمومية "(نور الدين و مبروكي،2025،ص72)، مما يعمق إشكالية التدهور البيئي داخل هذه الفضاءات، وقد أثرت التحولات الاجتماعية التي شهدتها الجزائر في هذه الديناميكيات إذ " ساهمت الهجرة الريفية والنمو السكاني العشوائي في تغيير أنماط استخدام الفضاءات العامة وزيادة الضغط عليها"(نور الدين و مبروكي،2025،ص72)، هذا ما يجعل الفضاء العمومي في المدينة الجزائرية ساحة تتقاطع فيها الرهانات الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية والبيئية، ولفهمه يجب استحضار هذه الأبعاد في آن واحد.

المطلب الثالث: التحضر و أثره على أنماط السلوك الاجتماعي

لا يمكن فهم الممارسات البيئية للأفراد في الفضاء العمومي بمعزل عن المسار التاريخي والاجتماعي الذي أفرز شكل المدينة الجزائرية حاليا، فالتحضر الذي شهدته الجزائر منذ الاستقلال لم يكن مجرد نمو ديمغرافي عادي بل كان تحولا اجتماعيا عميقا مسّ البنى الثقافية والقيمية للأفراد وأعاد تشكيل علاقتهم بالمدينة وفضاءاتها العمومية، وإدراك هذا المسار ضروري لفهم السلوكيات البيئية التي نرصدها اليوم في المدينة الجزائرية، إذ لا يمكن تفسيرها دون استحضار السياق الذي انتجت فيه، لهذا سوف نسعى في هذا المطلب للكشف عن الصلة العضوية بين التحضر بوصفه عملية للتحول الاجتماعي من جهة وأنماط السلوك البيئي في الفضاء العمومي من جهة أخرى.

أولا: التحضر بوصفه عملية تحول اجتماعي عميق

يعد التحضر من الظواهر الاجتماعية الكبرى التي أعادت تشكيل بنية المجتمعات المعاصرة و لا سيما في السياق الجزائري الذي شهد موجات متتالية من النزوح الريفي نحو المدن، و يقول عباس ابراهيم أن "التحضر شيء أكبر من وجود فيزيقي أو إقامة فيزيقية في المدينة، بل إنه عملية ديناميكية تتميز بمواقف واتجاهات وأفكار وقيام خاصة، بالإضافة إلى كونه عملية اجتماعية طويلة و معقدة لا تهدف إلى إلغاء أسلوب الحياة الريفية بقدر ما تهدف إلى فرض ونشر أسلوبها الخاص في الحياة الاجتماعية، وهذه العملية المعقدة لا يمكن تحقيقها بدون تربية والإعداد الطويل الذي يساعد الناس على فهم الحياة الحضرية والسلوك والتصرف تبعا لذلك" (عباس،2009،ص42)، من هنا يتبين لنا أن التحضر لا يختزل في مجرد الانتقال المكاني من الريف

إلى المدينة، بل هو عملية إعادة بناء للهوية الثقافية للفرد، فالفرد المهاجر من الريف يحمل معه منظومة قيمية مغايرة تصطدم بمتطلبات الفضاء الحضري، وحين تغيب الرقابة لهذا الانتقال أو التغير تنشأ سلوكيات لا تتوافق مع معايير الحياة الحضرية، ويظهر ذلك في طريقة تعامل الأفراد مع الفضاء العمومي ومرافقه.

ثانيا: نمط البيئة الحضرية وتشكيل سلوك الفرد

لا تقتصر العلاقة بين الفرد والبيئة الحضرية على الجانب المادي والوظيفي فقط، بل تمس أعماق الشخصية وتشكل أنماط السلوك اليومي، في هذا السياق يقر عماد بوروح أن "العلاقة بين الإنسان والبيئة لا تقف عند الحدود الانتفاعية، ولكن تمتد لتمس النواحي النفسية والاجتماعية للفرد عن طريق التصرفات اللاإرادية أو المكتسبة التي تحدد وتضبط أفعاله وسلوكياته ضمن خصائص هذا الفضاء، وبالتالي فنمط البيئة ينعكس بالدرجة الأولى على سلوكيات وأفعال قاطنيها على اعتبار أن البيئة الحضرية والتصميم الدقيق لعناصرها ومتطلباتها من شأنه توجيه السلوك الإنساني وفق ما يحقق نوعا من التكامل والانسجام بين البيئة والسلوك الإنساني المتحضر، في حين أن نمط البيئة المتخلفة يمكن لها أن تنعكس سلبا على سلوك الفرد وتعمل على تشكيل منظومة قيمية للسلوكيات وأفعال متخلفة وغير حضارية".(بوروح، 2021،ص140)

كما يضيف موضحا طبيعة تأثير الفرد في بيئته و يقول "أن الإنسان يؤثر في البيئة التي يعيش فيها عن طريق سلوكياته وأفعاله اتجاهها، إذ يمكن أن يتحكم أو يغير من نمط البيئة أو الوسط الذي يعيش فيه ويتفاعل معه، وبطبيعة الحال إن كانت السلوكيات الفردية إيجابية بالدرجة الأولى يمكن له أن يخلق ويشكل بيئة حضارية متقدمة ومتطورة من خلال تعديل كل المعطيات البيئة الحضرية والإسهام في تطويرها، أما إذا كانت سلوكيات سلبية فهي تنعكس على البيئة الحضرية التي يعيش ويتفاعل معها، وتظهر من خلال انتشار العديد من المظاهر والمؤشرات السلبية كالتلوث وتخلف الأحياء وحدوث خلل في النظام الإيكولوجي الخاص بها".(بوروح، 2021،ص151،150)

من خلال هذا تظهر لنا العلاقة الجدلية بين الفرد وبيئته، فالبيئة تشكل السلوك وهو بدوره يعيد تشكيل البيئة، وهذه العلاقة التبادلية تجعل من فهم السلوك البيئي السلبي كرمي النفايات في الفضاء العمومي مسألة مركبة لا يمكن اعتبارها إرادة فردية بمعزل عن السياق البيئي والاجتماعي المحيط بالفرد.

ثالثا: إشكالية التحضر في المدينة الجزائرية وانعكاساتها على الفضاء العمومي

تميزَ التحضر في الجزائر بطابع كميه على حساب البعد النوعي مما أفرز جملة من الاختلالات البنيوية التي طالت الفضاء العمومي و أنماط استخدامه، و في هذا السداد يلاحظ فروق يعلى "أن كل العوامل التي صاحبت التحضر في الجزائر جعلت منه مجرد عملية كمية على حساب التحضر النوعي، أمام عجز النظام الحضري على مواكبة هذه الزيادة الكبيرة في نسبة التحضر وعدم قدرة أجهزته استيعاب الأعداد الهائلة من موجات النزوح الريفي، وهو ما أفرز عدة مشكلات تعاني منها المدينة الجزائرية التي أصبحت مصدرا للقلق والازعاج والخوف بدلا من الاستقرار والشعور بالأمان و الطمأنينة "(يعلى،2022،ص272)، كما حدد مظاهر تدهور الأماكن العامة الناجمة عن التحضر العشوائي الذي حدث مبينا أن" المظاهر الفيزيقية للتدهور تتمثل في انعدام النظافة التي تتجلى في تراكم النفايات والأوساخ بمختلف أنواعها وغياب عمال النظافة، و عدم وجود سلات رمي الأوساخ بالمراحيض العمومية وتلوث الهواء بسبب دخان السيارات... الخ" (يعلى، 2022،ص281)

يتضح لنا من خلال ما طرحه فاروق يعلى أن التحضر الكمي الذي عرفته الجزائر ركز بصوة أساسية على التوسع العمراني والزيادة العددية للسكان والمباني، دون أن يواكب ذلك اهتمام حقيقي بتهيئة الفضاءات العمومية وتنظيمها والمحافظة على نظافتها و قد أدى هذا الوضع إلى ظهور أحياء ومدن تعاني من ضعف المرافق الحضرية وغياب شروط البيئة الحضرية السليمة ،الأمر الذي انعكس على سلوك الأفراد داخل الفضاءات، ففي ظل غياب التنظيم والمراقبة وضعف الوعي البيئي أصبحت بعض الممارسات السلبية مثل رمي النفايات والإهمال سلوكات يومية مألوفة يعتادها الأفراد ويعودون انتاجها عبر الأجيال إلى درجة أنها تتحول تدريجيا إلى أنماط اجتماعية متجذرة داخل الحياة الحضرية اليومية

رابعا: التحضر وتفكك الضبط الاجتماعي

يوَلد التحضير متسارع فراغا في منظومه الضبط الاجتماعي إذ تتلاشى الرقابة الجماعية الأولية التي كانت سائدة في الوسط الريفي دون أن تحل محلها رقابة رسمية فعالة ، وهو ما يؤكده فاروق يعلى عندما يشير أن "البيئة الحضرية بما تتميز به من خصائص ايكولوجية واجتماعية ونفسية تساعد على الإفلات من الرقابة الاجتماعية بسبب التراجع شبه الحتمي للرقابة الأولية من جهة وصعوبة تحكم الرقابة الرسمية في الأوضاع من جهة ثانية ، و ذلك بسبب تراجع دور الأسرة وسلطة الوالدين و ضعفها أمام الضغوطات الحضرية المختلفة والتمرد بسبب انتشار أفكار الحرية والنزوع نحو الفردية وتعدد قاعات اللعب ومقاهي الانترنيت في الأحياء

خاصة أمام ارتفاع نسبة البطالة و أرضية السكن وقلة التنظيم وغيرها من الظروف المشجعة على الخروج عن قواعد الضبط" (يعلى،2022،ص281)، إذا فالفضاء الحضري لا يشكل فضاء محايدا بل هو فضاء يعيد انتاج العلاقات الاجتماعية وفق منطق يختلف جذريا عن منطق الوسط الريفي، فحين تتداعى آليات الضبط الاجتماعي التقليدية ولا تعوض برقابة رسمية فاعلة يصبح الفضاء العمومي بالمدينة الجزائرية ظاهرة مرتبطة بمسار التحضر وما أفرزه من ثقافات بنيوية.

خاتمة

من خلال ما ورد في المبحث يتضح لنا أن المدينة والفضاء العمومي والتحضر مفاهيم ضمن منظومة متكاملة تتشابك فيها الأبعاد الاجتماعية والثقافية والبيئية، فالمدينة كما ورد في المطلب الأول من المبحث ليست كيانا عمرانيا صامتا بل هي فضاء اجتماعي حي تتشكل فيه العلاقات وتتصادم المصالح و تتبادل فيه الثقافات، و تتراكم فيها تحولات التاريخية لتنتج في النهاية نمطا خاصا للحياة والهوية الجماعية، أما الفضاء العمومي الحضري فهو ترجمة للحياة الجماعية داخل المدينة إذ يجسد اليوم ساحة للتفاوض المستمر بين الفاعلين الاجتماعيين، حيث تتجلى الممارسات اليومية للأفراد في علاقاتهم بالمكان المشترك، و تتكشف من خلالها درجة الوعي المدني وحجم الإنتماء إلى الفضاء العمومي، و جاء في المطلب الثالث أن التحضر المتسارع وغير المنظم الذي شهدته الجزائر قد ألقى بظلاله على هذه المنظومة كلها، فأنتج مدناً تفتقر إلى التجانس الاجتماعي وفضاءات عمومية تعاني من التدهور والإهمال، وأفرادا يفتقرون إلى الإعداد الكافي للانخراط في الحياة الحضرية بمفهومها الحقيقي، و قد أثر ذلك مباشرة في أنماط السلوك البيئي، إذ وجد الفرد نفسه في فضاء لا يشعر بالانتماء إليه ولا تضبطه منظومة اجتماعية واضحة، مما جعل الممارسات السلبية اتجاه البيئة العمومية كرمي النفايات و إهمال المرافق المشتركة ذات حضور قوي أدى إلى تكيف سلبي مع الواقع الحضري.

المبحث الثاني: النظافة والقذارة والنفايات كبناءات ثقافية ورمزية

المطلب الأول: النظافة والقذارة من المنظور الأنثروبولوجي الرمزي لماري دوغلاس

مطلب الثاني: النفايات بوصفها ظاهرة اجتماعية وثقافية

المطلب الثالث: العلاقة بين الوعي البيئي والممارسة الفعلية

المبحث الثاني: النظافة والقذارة والنفايات كبناءات ثقافية ورمزية

تمهيد:

لا تقتصر مسألة المخلفات والنفايات التي ينتجها الإنسان على الأبعاد الصحية و البيئية بل تمتد لتعكس منظومة من القيم والتصورات الرمزية التي تبني بها المجتمعات حدود ما هو طاهر وما هو نجس وبين المقبول والمرفوض، فالنظافة ليست ممارسة بيولوجية محايدة بل هي كما أثبتت الأنثروبولوجيا فعل ثقافي يفصح عن بنية اجتماعية كاملة وعن طريقة مجتمع ما في تصنيف العالم من حوله وتنظيمه، و إذا كانت ظاهرة رمي النفايات في الفضاء العمومي تبدو من الوهلة الأولى سلوكا فرديا عابرا لكنه من المنظور السوسيو–أنثروبولوجي يكشف أنها انعكاس عميق لتمثلات جماعية وإشكاليات معقدة متعلقة بمفهوم الانتماء إلى الفضاء العمومي ومعنى المسؤولية الجماعية، ومن هنا تظهر أهمية المبحث الذي يسعى إلى فهم وتحليل هذه الظاهرة من زوايا مختلفة.

المطلب الأول: النظافة و القذارة من المنظور الأنثروبولوجي الرمزي لماري دوغلاس

إن مسألة النظافة والقذارة من أعمق المسائل التي تناولتها الأنثروبولوجيا الرمزية، حيث تكشف عن منظومة القيم المخفية التي تنظم علاقة الإنسان ببيئته وبالآخرين من حوله، ولا يمكن التحدث عن ظاهرة رمي النفايات في الفضاء الحضري بمدينة وهران دون استحضار الإطار النظري الذي أرسلته عالمة الأنثروبولوجيا البريطانية ماري دوغلاس في كتابها المعنون ب "الطهارة والخطر" 1966،الذي أحدث قطيعة معرفية حقيقية مع التفسيرات الصحية والدينية التقليدية لمفهوم النجاسة، ليعيد تأسيس الظاهرة على أرضية رمزية واجتماعية، ولهذه المقاربة أهمية بالغة في سياق دراستنا لكون المجتمع الجزائري يحمل في تاريخه إرثا حضاريا في التعامل مع النظافة، متشكل عبر قرون من الموروث الإسلامي والممارسة الاجتماعية، مما يجعل التباين بين هذا الإرث والواقع الميداني الملاحظ في الوسط الحضري لوهران اليوم إشكالية لابد من تفسيرها وتحليلها بدل الاقتصار على الأحكام الأخلاقية.

أولا: القذارة بوصفها بناءً ثقافيا لا واقعا موضوعيا

اهتم الفكر الغربي الكلاسيكي على تفسير مفاهيم الطهارة والنجاسة تفسيرها صحيا وظيفيا، انطلاقا من فكرة أن الشعوب التي طورت تابوهات وقواعد صارمة حول النظافة كانت تستجيب لمخاطر بيولوجية فعلية، وقد ذهب أنثروبولوجيون كفريزر وسميث إلى أن قواعد الطهارة في الديانات البدائية ليست سوى "ضرب من

النظافة الوقائية البدائية" أي علم صحة في رداء ديني، غير أن دوغلاس أحدثت قطيعة معرفية جذرية مع هذا الطرح، حيث أثبتت أن القذارة بناء ثقافي ورمزي في جوهره لا صلة له بالوظيفة الصحية المزعومة.

وتقول دوغلاس في هذا الصدد أن "النظافة والاتساخ لا يتعلقان بالخوف من المرض، فأفكارنا عن الاتساخ تعبر عن نظام رمزي وسلوكنا في تجنب الأوساخ ليس خوفا جبانا ولا حتى رهبة من رعب مقدس، بل هو فعل إيجابي يتمثل في تنظيم البيئة"(Douglas,2001,p2) ،هذا الطرح يحول النظر من الاتساخ بوصفه حقيقة موضوعية إلى القذارة بوصفها حكما ثقافيا يصدر عن نظام تصنيفي خاص بكل مجتمع، مما يعني أن ما يعتقده مجتمع ما نجي لا يعتبرهم مجتمع آخر كذلك.

و تتضح أهميته حين ننظر للواقع الميداني لمدينة وهران فالأفراد القاطنين يرمون النفايات في الشوارع بينما يحرصون على نظافة منازلهم، وقد رصدت الباحثة لشلاش هذه المفارقة جيدا في دراستها الميدانية إذ تشير إلى أن " النظافة ترتفع كلما ارتفعت درجة الملكية للفضاء، وتنخفض كلما أصبح الفضاء مشترك وعام"(لشلاش، 2012،ص48)، هذه الملاحظة الميدانية تدعم المبدأ النظري الذي أرسلته دوغلاس فالمشكلة ليست غياب قيمة النظافة في حد ذاتها بل اختلاف النظام الرمزي الذي يحدد من هي الفضاءات التي تستحق النظافة ومن هي التي تبقى خارج دائرة الاهتمام والمسؤولية، فسكان مدينة وهران لا يرمون النفايات في شوارعها لجهلهم بقيمة النظافة، بل لأن المنظومة الثقافية الخاصة بهم لم توسع بعد دائرة الفضاء الذي يخصهم، لتشمل الشوارع والحدائق بالقدر المهم الذي تشمله بيوتهم.

ثانيا: القذارة بوصفها "مادة في غير مكانها" وانعكاساتها على فهم سلوك رمي النفايات

إن التعريف الذي صاغته دوغلاس للقذارة يعد من أكثر التعريفات تأثيرا في الأنثروبولوجيا المعاصرة فتقول "إذا استطعنا أن نتجرد من علم الأمراض والأحياء الدقيقة فإن القذارة في جوهرها فوضى، لا وجود للأوساخ المطلقة فهي نسبية إنها موجودة في عين الناظر"(Douglas,2001,p2) و قد طورت هذه الفكرة في تعريفها الشهير للقذارة بأنها "مادة في غير مكانها" موضحة ذلك بأمثلة حية تقول "الأحذية ليست قذرة في حد ذاتها ولكن وضعها على طاولة الطعام يعد قذرا، والطعام ليس قذرا في حد ذاته ولكن ترك أدوات الطبخ في غرفة النوم أو بقايا الطعام على الملابس يعد قذرا، وبالمثل أدوات الحمام في غرفة المعيشة والملابس ملقاة على الكراسي وأشياء من الخارج في الداخل.. "(Douglas,2001,p37) إذا فالقذارة ليست صفة ملازمة للأشياء بل هي علاقة اختلال الشيء بالنظام التصنيفي الذي يحدد مكانه اللائق، من خلال هذا ينبسط تنبثق قراءة مهمة لظاهرة رمي النفايات في وهران، فالنفاية حين ترمى في الشارع لا تشكل انتهاكا للنظافة بالمعنى

الصحي فقط، بل هي تعبير رمزي عن تصنيف ضمني للفضاء العمومي بوصفه فضاء" لا ينتمي إليّ "وبالتالي فإن ما يلقى فيه لا يمثل اختلالا في نظام مكاني يعترف به.

الأدهى من ذلك أن النفاية في هذا السياق لم تعد" مادة في غير مكانها" بالنسبة للفرد، بل هي في مكانها الطبيعي لأن الشارع في تصوره ليس فضاءّ منظما خاصا يستوجب الحماية، وهذا ما يفسر تصريح أحد المبحوثين في دراسة لشلاش بقوله "الزونقَ تاع البايلك وليست ملكي الخاص لكي أنظفها "، هو هنا لا يعبر عن استهتار بل عن منطق تصنيفي داخلي مفاده أن الفضاء الذي لا أملكه لا يدخل في نظام الأشياء التي علي تحمل مسؤولية الحفاظ عليها، وتمتد هذه القراءة الرمزية لتفسر ظاهرة أخرى مهمة في السياق الجزائري وهي المكانة الاستثنائية للمسجد فيما يتعلق بالنظافة، فالمسجد فضاء عام بطبيعته غير أنه يحظى بعناية واهتمام في جانب النظافة لا نراه في الأماكن العامة الأخرى، و هذا ما يجسده منطق دوغلاس على المستوى التجريبي فالمسجد يملك نظاما رمزيا واضحا وملزما يحدد ما هو طاهر وما هو نجس، و يضفي على هذا هوية خاصة تجعله ينتمي إلى كل مسلم يتردد عليه، فتترتب على ذلك مسؤوليه ضمنية بالاعتناء والحفاظ عليه، وقد لاحظت لشلاش هذا التباين الواضح في دراستها الميدانية بوهران حيث تشير إلى أن" المسجد يشكل حالة استثنائية داخل الفضاء العمومي "(لشلاش، 2012،ص134)

ثالثا: الطهارة والنظافة في السياق الجزائري عبر التاريخ

لا تنفصل مسألة النظافة في الجزائر عن جذورها التاريخية والحضارية العميقة ، إذ تبين الدراسات التاريخية أن الاهتمام بالنظافة كان موروثا متجذرا في المجتمع الجزائري، ولا يمكن اختزال إشكالية النظافة في المدن الجزائرية اليوم في مجرد ثقافة مختلفة أو سلوك بدائي كما ورد في بعض الخطابات. يقر صدام في دراسته تاريخية عن نظافة مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أن" مدينة الجزائر كانت أكثر تنظيما وفعالية مقارنة بمدن أخرى كالقاهرة وحلب، بحيث أنشئت مصلحة خاصة تسهر على نظافة المدينة "(أندري،ص111)، وتكشف هذه الشهادة أن المجتمع الجزائري عرف عبر التاريخ منظومة متكاملة لإدارة نظافة الفضاء العمومي، مما يعني أن الإشكالية الراهنة ليست أزلية أو ثقافية بل هي نتائج تحولات اجتماعية وتاريخية أعادت تشكيل العلاقة بالفضاء العمومي، ويضيف صدام في تفسير هذا الواقع التاريخي حين يلاحظ أن المنظومة الإدارية العثمانية كانت تتعامل مع نظافة الفضاء العمومي بصرامة، إذ كانت " الإدارة تفرض على السكان التقيد بهذا التنظيم الصارم، بحيث تعاقب الأسرة التي لا تتقيد بوضع القمامة في أماكنها الخاص، وتتمثل العقوبة في غرامة مالية أو الضرب بالعصا في حالة عدم تسديد الغرامة المالية ".(حماش، 2006،ص491) ،و يوثق كذلك آليات جمع النفايات و إدارتها فيقول" يمر العمال عبر الشوارع بالحمير والبغال على ظهورها قفف لجمع

تلك القمامة من الأحواض المخصصة لها، لتنقل خارج المدينة وترمى في مكان يسمى برج الزبلية أو برج القمامة "(أندري، ص111)

هذه المنظومة التي تجمع بين التشريع و الالتزام والبنية التحتية تكشف أن إشكالية الفضاء العمومي والنفايات لم تكن غائبة عن الجماعي الجزائري، بل كانت تعالج بطرق مؤسسية حقيقية، وما نشهده اليوم من تفكك في هذه المنظومة يعد موضوعا جديرا بالاهتمام السوسيو–تاريخي، لا عذر للحكم الثقافي المتسرع، وفي ضوء مقاربة دوغلاس يمكن تفسير هذا التحول تاريخي، فالمنظومة العثمانية كانت تنتج نظاما رمزيا واضحا و صارما يجعل الشارع فضاءً له مكانته في تصنيف الاجتماعي، أي فضاء خاضع للقواعد، أما التحولات التي تلت الاستقلال من نزوح الريفي كبير وتوسع حضري متسارع وضعف مؤسسي، أنتجت فراغا في هذه المنظومة الرمزية، فأصبح الشارع فضاء لا يملك تصنيفا واضحا في ذهن كثير من السكان الجدد وبالتالي لا يخضع لنظام الأشياء التي تستحق الاهتمام و النظافة.

رابعا: النظام الثقافي وانتاج سلوك النظافة بين الخطاب والممارسة

توضح دوغلاس بأن كل ثقافة تطور آليات خاصة للتعامل مع ما يقع خارج تصنيفاتها، وأن ردود الفعل حول الاتساخ و القذارة تعبر عن حاجة المجتمع للحفاظ على نظامه الرمزي وتقول في هذا الصدد أن "الثقافة بمعنى القيم العامة الموحدة للمجتمع تؤثر في تجربة الأفراد فهي توفر مسبقا بعض الفئات الأساسية، ونمطا ايجابيا تنظم فيه الأفكار والقيام بدقة... تتمتع الثقافة بسلطة إذ يدفع كل فرد إلى الموافقة بفضل موافقة الآخرين"(Douglas,2001,40) وهذا يعني أن سلوك رمي النفايات أو الامتناع عنه ليس قرار فرديا بل هو استجابة لضغط ثقافي جماعي يحدد ما هو مقبول وما هو مرفوض في سياق اجتماعي معين، فحيم يرمي شخص نفاياته في الشارع أمام أعين الآخرين دون أن يشعر بالحرج فإن ذلك يعني أن هذا الفعل لا يشكل انتهاكا للنظام الرمزي السائد في ذلك الفضاء، وأن الرقابة الاجتماعية المتبادلة غائبة فيما يخص الفضاء العمومي، وتتجلى هذه الفكرة بصورة واضحة في التناقض الذي رصدته الباحثة لشلاش ميدانيا، إذ لاحظت بأن أفراد المجتمع الوهراني يقرون بقيمه النظافة الدينية ويستندون إليها لفظا "النظافة من الإيمان والوسخ من الشيطان" غير أن هذا الإقرار لا يتحول دائما إلى سلوك فعلي في الفضاء العمومي، إذ كشفت نتائج الدراسة أن" 39% من العينات ترجع عدم اهتمام السكان بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الخاصة بالنظافة إلى ضعف الدين لديهم "(لشلاش،2012،ص37)

و هذه الفجوة بين الخطاب والممارسة هي تحديدا ما تفسرها نظرية دوغلاس فالقيمة موجودة في الوعي، لكن نظام التصنيف الثقافي لا يمتد تلقائيا ليلزم الفرد بتطبيقها في الفضاء العمومي الذي يربطه به رابط الملكية

أو الانتماء، و تزداد هذه الاشكالية تعقيدا حين نستحضر ما تشير إليه لشلاش من أن غياب المؤسسة التنشيئية الفاعلة كالمدرسة والجمعيات والاعلام في تكريس قيم النظافة العمومية يعمق الفجوة بين الوعي النظري والممارسة الفعلية، مؤكدة أن" النظافة سلوك مكتسب نتعلمه نتيجة للتربية التي ننشأ ونتربى عليها "(لشلاش،2012،ص38) و هذا يتقاطع تماما مع رؤية دوغلاس التي مفادها أن الأنظمة الرمزية لا توجد تلقائيا بل تنتج اجتماعيا وتعاد انتاجها عبر آليات التنشئة والتعلم الضغط الاجتماعي المتبادل، ومن هنا يتضح أن ظاهرة النظافة في وهران ليست أزمة قيم في أعماقها، بل أزمة آليات لإنتاج السلوك الجماعي وتكريسه في الفضاء العمومي، و خلاصة القول فإن مقاربة دوغلاس الرمزية تمنحنا مفاتيح تحليلية لا غنى عنها لفهم الواقع الميداني في وهران، فسلوك رمي النفايات في الشارع لا يقرأ بوصفه فعلا عشوائيا بل يفهم في ضوء نظام رمزي مركب يحدد ما يستحق الاعتناء به والحماية، و ما يقع خارج دائرة المسؤولية، نظام تشكل عبر تحولات تاريخية واجتماعية أفرزت قطيعة بين الساكن وفضائه العمومي، وجعلت الشارع فضاء بلا هوية رمزية واضحة ولا روابط انتماء ملزمة.

المطلب الثاني: رمي النفايات بوصفه ظاهرة اجتماعية وثقافية

لا تمثل ظاهرة النفايات الفضاء سلوكا عشوائيا، فكما كشفت الدراسات الأنثروبولوجية هي ظاهرة اجتماعية ذات بنية وقوانين تظهر من منظومة تصورات وقيم يحملها الأفراد من علاقتهم بالفضاء المشترك و مفهوم المسؤولية الجماعية، وقد أثبتت الدراسات الميدانية المجرات على مدن جزائرية وعربية أن هذه الظاهرة لا تفسر بعامل واحد، بل تتشابك في انتاجها عوامل ثقافية وتاريخية متعددة، مما يجعل فهمها ضروريا.

أولا: النفايات بين الظاهرة الفردية والواقع الاجتماعي

عندما يرمي الفرد نفايته في الشارع فيبدو له في ظاهره قرارا شخصيا، غير أن قراءة أعمق تكشف أنه يعبر عن منطق جماعي مشترك يتجاوز الحالة الفردية، فتقر الباحثة لشلاش في دراستها الميدانية بوهران أن "ظاهرة رمي النفايات لا تخص فئة اجتماعية معينة بل هي متفشية عبر كل فئات المجتمع باختلاف أعمارهم وأجناسهم و المستوى التعليمي أو حتى الرتبة الاجتماعية".(لشلاش، 2012،ص43) ،تثبت هذه الملاحظة أن المسألة تتجاوز البعد الفردي لتغدو واقعة اجتماعية كلية بالمعنى الذي يقدمه دوركايم، أي باعتبارها ظاهرة يتشارك فيها الجميع بغض النظر عن مستوياتهم التعليمية أو معارفهم الدينية أو وضعيهم الاقتصادي، مما يدل على أنها منتجة بنيويا لا فرديا، و يتجلى هذا البعد الاجتماعي بوضوح في كيفية انتقال هذا السلوك عبر الأجيال و الممارسة اليومية، و تلاحظ لشلاش أن" النفايات التي تنتشر في الأماكن العامة هي الناتجة عن أفعال اعتيادية نمارسها بدون وعي وأحيانا يكون دافعنا هو التقليد من مبدأ الاقتداء بها تفعله أغلبية أفراد المجتمع

"(لشلاش،2012،ص55) يشير هذا أن رمي النفايات يكتسب طابع السلوك الذي يتحول من فعل واعي إلى رد فعل تلقائي لا يستوجب تفكيرا، وهو ما يجعل تغييره أمرا يتطلب تدخلا في المنظومة الثقافية كلها لا مجرد تعديل في السلوك الظاهر.

ثانيا: الفجوة بين الفضاء الخاص والعام في انتاج سلوك النفايات

تكشف الدراسات الميدانية عن تناقض واضح يستوقف الباحث ويستدعي التفسير، فالساكن الذي يلقي بنفايته في الشارع دون تردد هو نفسه الذي يحرص على نظافة منزله ،و يشير الفاعوري في دراسته المقارنة للخدمات البيئية و الحضرية إلى أن "كل ولي أمر ورب أسرة كما يحافظ على نظافة منزله من الداخل يجب عليه في الوقت نفسه أن يحافظ على مدينته وشوارعها المختلفة " (الفاعوري، 2022،ص1180)

كما رصدت لشلاش هذه الفجوة بدقة في الواقع الوهراني، إذ تقول أن " النظافة ترتفع كلما ارتفعت درجة الملكية للفضاء وتنخفض كلما أصبح الفضاء مشترك وعام، فنجد الفرد يهتم بغرفته الخاصة أكثر من نظافة الغرف المشتركة، ونفس الشيء ينطبق على الفضاء العام والفضاء الخاص"(لشلاش،2012،ص48) نفهم من هذا التحليل أن النفاية حين تلقى في الشارع لا تعكس انعدام قيمة النظافة بل تعكس تعريفا ضيقا للمسؤولية يقتصر على ما يملكه الفرد، في حين يبقى الفضاء المشترك فضاءً منفيا من دائرة الاعتناء الشخصي، وقد لخص أحد المبحوثين هذا المنطق في عبارته بقوله" الزونقَ تاع البايلك وليست ملكي الخاص لكي أنظفها "(لشلاش، 2012،ص8)

وهذا ما يعبر بصدق عن تصنيف ثقافي راسخ يجعل الشارع ملكا للدولة لا للمواطن، و تزداد هذه المفارقة وضوحا حين نعلم أن المجتمع ذاته يملك تراثا تاريخيا راسخا في الاعتناء بنظافة الفضاء العام، فقد أثبتت الدراسة التاريخية أن مدينة الجزائر في العهد العثماني عرفت منظومة متكاملة لإدارة النظافة لقول صدام " أن النظافة في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية كان لها ارتباط وثيق بمبادئ وثقافة المجتمع الجزائري المسلم، و بالتالي النظافة مرتبطة بحياتهم اليومية "(صدام 2020،ص262)، وهذا الاستحضار التاريخي يؤكد أن انفصال الساكن عن مسؤولية الفضاء العام ليس قيمة موروثة ثابتة، بل هو تشكل تاريخي يمكن تفسيره وفهمه في ضوء تحولات اجتماعية معينة.

ثالثا: دور التنشئة الاجتماعية في إعادة إنتاج ظاهرة رمي النفايات

إن الظواهر الاجتماعية لا تنشأ من فراغ بل تتشكل عبر آليات التنشئة والتعلم الاجتماعي المبكر، و هذا ما كشفته الدراسات الميدانية بحيث أن سلوك رمي النفايات يكتسب في مرحله الطفولة عبر مشاهدة الكبار

وتقليدهم في الفضاء العام، وتقول لشلاش في هذا الصدد أن" المرأة هي التي تعلم أولادها النظافة وكيفية رمي الأوساخ " (لشلاش،2012،ص50) و هنا ينكشف البعد التنشيئي لهذه الظاهرة إذ أن الطريقة التي تتعامل بها الأسرة مع نفايات سواءً برميها في المكان المخصص لها أو برميها عشوائيا تشكل نموذج السلوك الأول الذي يتعلمه الطفل ويعيد انتاجه لاحقا في الفضاء العام، كما يؤكد الفاعوري على الدور المحوري للأسرة في هذه المنظومة التنشيئية بقوله أن "الاهتمام بالنظافة هو سلوك يجب تنميته والحفاظ عليه منذ صغر وزرعه في النشىء، و من المؤكد أنه مهما كانت الجهود المبذولة في رفع القمامة دون المشاركة الفعالة من الجمهور فسوف تضيع الجهود" (الفاعوري، 2022،ص1180) ،هذا الطرح يرسخ مبدأً جوهريا مفاده أن الحلول البنيوية وحدها كتوفير الحاويات وتسيير شاحنات الجمع غير كافية ما لم ترافقهما ثورة تنشيئية تعيد تعريف علاقة الأفراد بفضائهم المشترك منذ الطفولة.

المطلب الثالث: العلاقة بين الوهي البيئي و الممارسة الفعلية

إن العلاقة بين الوعي البيئي و الممارسة الفعلية من أكثر الإشكاليات المطروحة في الحقل السوسيولوجي البيئي، ذلك لأن الملاحظة الميدانية تكشف باستمرار عن تناقض لافت بين ما يعبر عن الأفراد من قيم ومعارف تتعلق بالبيئة وما يمارسونه فعليا داخل الفضاء الحضري، فالفرد الذي يتحدث عن ضرورة النظافة ويستشهد بأحكام دينية تدعو إليها هو نفسه الذي قد يرمي نفايته في الشارع دون أي تردد، هذه التناقض يجعل الفجوة بين الخطاب والفعل موضوعا جوهريا لا يمكن تجاهله في أي مقاربة سوسيو–أنثروبولوجية حول الممارسات البيئية في المدينة الجزائرية.

أولا: مفهوم الوعي البيئي وإشكالية تعريفه

قبل الخوض في إشكالية العلاقة بين الوعي و الممارسة يجب تحديد ماهية الوعي بدقة، فالوعي بمعناه العام ليس حالة أحادية بسيطة، بل بناء مركب تتداخل في تشكيله مستويات معرفية وجدانية وسلوكية ، يلاحظ الباحثان شربال و بلعيور أن الوعي الاجتماعي " ظاهرة معقدة ومركبة لا يمكن البث فيها وتعريفها في المطلق، لأن التراكمات المعرفية و المنهجية لا تسمح بذلك وتؤدي في الغالب إلى القطاعية في تحديد المفهوم "(شربال و بلعيور،2018،ص96) يعني أن الوعي البيئي ليس مفهوم جاهز يمكن قياسه بمعيار واحد بل هو منظومة تتشابك فيها الأبعاد المعرفية و الانفعالية و السلوكية، و ينبثق من هذا التعريف المركب أن الوعي البيئي يتضمن ثلاثة أبعاد متمايزة ينبغي تحليلها ،أولا البعد المعرفي و يتمثل في معرفة الفرد بمفاهيم البيئة و أهميتها و مشكلتها، ثانيا البعد الوجداني ويتمثل في مشاعر الانتماء إلى الفضاء البيئي والإحساس بالمسؤولية نحوه، و أخيرا البعد السلوكي ويظهر في الممارسات الفعلية اليومية التي تترجم هذا الوعي إلى أفعال ملموسة، و تكشف

الدراسات الميدانية في الوسط الجزائري أن هذه الأبعاد لا تتماشى دائما في خط متوازي، إذ كثيرا ما يتقدم البعد المعرفي والوجداني لدى الأفراد في حين يبقى البعد السلوكي متأخرا عنهما.

ثانيا: الفجوة بين الوعي والممارسة

تمثل الفجوة بين الوعي البيئي والممارسة الفعلية في الفضاء الحضري ظاهرة موثقة في سياقات عربية متعددة، فقد رصدت لشلاش في دراستها الميدانية في وهران أن "الأفراد يبدون اهتماما واسعا بمفهوم النظافة على المستوى اللفظي والخطابي، غير أن هذا الاهتمام لا يتحول دائما إلى سلوك بيئي ايجابي فعلي داخل الفضاء العمومي" (لشلاش، 36،2012

هذا التناقض لا يمكن اختزاله في مجرد نقص في المعرفة أو غياب الوعي، إذ أن كثيرا من الذين يرمون النفايات في الشارع يدركون جيدا أن ذلك مرفوض من الناحية الدينية و الصحية و الأخلاقية إذا فالمشكلة ليست هنا.

في السياق نفسه ، يقر بوروح في دراسته عن العلاقة بين نمط البيئة الحضرية وسلوك الفرد أن "العلاقة بين الإنسان و البيئة لا تقف عند الحدود الانتفاعية، ولكن تمتد لتمس النواحي النفسية والاجتماعية للفرد عن طريق التصرفات اللاإرادية أو المكتسبة التي تحدد وتضبط أفعاله و سلوكاته ضمن خصائص هذا الفضاء العام" (بوروح،2021،ص140) هذه الملاحظة تفيد أن السلوك البيئي لا يحركه الوعي وحده بل يحركه كذلك نمط البيئة ذاتها وما تفرضه من ضغوط وقيود وامكانيات، وهنا يعاد طرح التساؤل: لماذا لا يكفي الوعي وحده لإنتاج ممارسة بيئية السليمة؟

ثالثا: العوامل المفسرة للفجوة بين الوعي والممارسة

يتضمن هذا المبحث جملة من العوامل المتشابكة التي تفسر استمرار هذه الفجوة رغم توفر الوعي البيئي، نبدأ بنظرية بورديو حول "الهابيتوس" ،إذ يعرف بأنه ذلك النظام المستدخل من الاستعدادات والتصورات الذي يوجه السلوك بصورة تلقائية بعيدا عن المراجعة العقلانية الواعية، ويقول الباحث دناقة أن الهابيتوس "يعبر مبدأ مولدا للاستراتيجية، يمكن الفاعلين من التوافق مع المواقف غير المتوقعة و دائمة التغيير، و هو نسق من الاستعدادات الدائمة و القابلة للتطور والتحول يعمل بشكل لا إرادي على استدعاء للخبرات السابقة لإنجاز مهام متنوعة "(لوبك،2002،ص184)، في حين يكون رمي النفايات في الشارع سلوكا مكتسبا و مستدخلا منذ طفولة، فإنه يصبح جزءا من الهابيتوس الثقافي الذي يعمل آليا بعيدا عن الوعي، مما يجعل مواجهته بالوعي المجرد أمرا غير كافي.

إضافة لنظرية التشكيل البنائي عند غيدنز، حيث تبين أن النظم الاجتماعية تعيد إنتاج نفسها عبر تكرار الممارسات، إذ يقول دناقة في هذا الصدد في تفسيره لغيدنز " تتشكل النظم والمؤسسات من خلال تكرار الممارسات وفقا لقواعد محددة وباستمرار هذه الحركة في الزمان والمكان، يتغير الوزن النسبي للقواعد والمصادر وبالتالي يحدِث إعادة التشكل من جديد لمكونات الحياة الاجتماعية مع وجود الكوابح البنائية التي تحول دون التغيير، بحيث توجد دوما قوة مقابل قوة الممارسة الواعية للأفراد "(دناقة،2017،ص206)، وهذا يعني أنا انتشار سلوك رمي النفايات يعيد إنتاج نفسه بذاته عبر منطق التقليد والمحاكاة ، فكلما رأى الفرد الآخرين يرمون نفاياتهم في الشارع دون رادع اجتماعي كلما تراجعت الكوابح النفسية لديه حول الفعل ذاته بغض النظر عن مستوى وعيه .

أما عامل الثالث فيتمثل في نمط البيئة الحضرية ذاتها وطريقة تأثيرها في السلوك، ويلاحظ بوروح أن " البيئة الحضرية المتخلفة تساهم في تشكيل نمط لسلوكيات وأفعال سلبية تخلق مشكلات وتساهم في توسيع الاختلالات الوظيفية بين الفرد و البيئة المحيطة وتفرض ممارسات وأفعالا غير حضارية "(بوروح، 2021،ص155) و يعني ذلك أن الفضاء الحضري غير المنظم وغير الجميل يرسل إلى قاطنيه رسالة رمزية مفادها أنه لا يستحق العناية والاهتمام، وهو ما يضعف الدوافع السلوكية حتى عند من يحمل وعيا بيئيا عاليا ، والبيئة التي تملأ بالنفايات تصبح في حد ذاتها عاملا يشجع على مزيد من رمي النفايات، لأن المعيار الظاهر السائد يعزز هذا السلوك و يضفي عليه قبولا ضمنيا.

رابعا: نحو فهم تكاملي لإنتاج ممارسة البيئية

ينتهي تحليلنا إلى أن إنتاج الممارسة البيئية السليمة لا يكتفي بتوفير الوعي المعرفي، بل يقتضي توفر جملة من الشروط ويشير كل من شربال و بلعيور إلى أن" للوعي الاجتماعي مكونات ثلاثة لا يكتمل الوعي الفعال إلا باجتماعها، وهي القيم التي تحدد التفضيلات إزاء الأشياء والسلوكيات والاتجاهات التي تمثل الميل والاستعداد للاستجابة لمنبه معين والمعتقدات التي تشكل البعد الإيماني الملزم للسلوك "(شربال و بلعيور، 2018،ص106،105)، حين تتوفر هذه المكونات في الوعي البيئي فلا يكون الفرد مجرد عارف بأهمية النظافة بل منتميا إلى فضائه العمومي ومؤمنا بمسؤوليته حوله، فإن احتمال تحول الوعي إلى ممارسة يرتفع بصورة ملحوظة.

كما يضيف بوروح في دراسته بأهمية التصميم الحضري في تسيير السلوك البيئي الايجابي أو عرقلته إذ يقول أن" التصميم الدقيق والمنظم لعناصر البيئة الحضرية ومتطلباتها يساهم في توجيه سلوك الأفراد بما يساعد على تحقيق نوع من التكامل والانسجام، كما أن شخصية الفرد والتي يكتسبها من خلال التفاعل مع

البيئة الحضرية ومعطياتها تساهم بشكل كبير في التأثير على البيئة الحضرية وتشكيل نمطها "(بوروح، 2021،ص141)، و هذا يعني أن الحلول لا تكون فردية الطابع فحسب بل تتطلب كذلك إعادة تهيئة الفضاء الحضري لجعله محضرا للسلوك الايجابي، من خلال توفير البنية التحتية الملائمة وتعزيز الجماليات الحضرية التي ترسخ الشعور بالإنتماء.

في الأخير نستخلص بأن الوعي البيئي شرط أساسي وضروري لإنتاج الممارسة البيئية السليمة لكنه ليس شرطا كافيا، و الفجوة التي نراها في فضاءات مدينة وهران بين وعي الأفراد وسلوكياتهم الفعلية هي نتاج تفاعل معقد بين الاستعدادات الثقافية الموروثة وأنماط التنشئة الاجتماعية وخصائص البيئة الحضرية ذاتها و القيم الجماعية السائدة، ومن هنا تظهر الحاجة الماسة إلى مقاربة بيئية تتجاوز خطاب التوعية وتسعى إلى إعادة بناء الرابط الرمزي والعاطفي بين الفرد وفضائه المشترك وهو ما تسعى الدراسة الميدانية إلى فهمه من داخل واقع وهران.

خاتمة:

إن النظافة و القذارة والنفايات ليست مفاهيم بيولوجية أو صحية محايدة ، هي بناءات ثقافية ورمزية تنتجها المجتمعات وفق منظومتها التصنيفية الخاصة ، و قد كشفت المقاربة الأنثروبولوجية الرمزية لماري دوغلاس عن الجذور العميقة لهذه البناءات، ثبتت أن القذارة "مادة في غير مكانها" بالمعنى الثقافي قبل أن تكون كذلك بالمعنى المادي، كما كشفت الدراسات الميدانية في السياق الجزائري والعربي أن رمي النفايات ظاهرة اجتماعية ذات بنية وقوانين تنبثق من تصورات جماعية راسخة حول الفضاء المشترك و المسؤولية الجماعية ، و تؤكد الفجوة بين الوعي البيئي والممارسة الفعلية أن المسألة لا تختزل في نقص المعرفة، بل هي في كيفية تشكل هذه السلوكيات عبر التنشئة والتفاعل مع الفضاء الحضري و المنظومة الرمزية التي تحدد ما يستحق ولا يستحق الاهتمام، هذه النتائج النظرية و المفاهيمية ستشكل الإطار التحليلي الذي سيوجه قراءة المعطيات الميدانية في الفصل الثاني.

المبحث الثالث: الممارسات البيئية في الفضاء الحضري- المقاربة النظرية والمحددات الثقافية

المطلب الأول: نظرية علم النفس المحيط لفيشر والسلوك في الفضاء الحضري

مطلب الثاني: الممارسات البيئية في ضوء التفاعلية الرمزية عند غوفمان

المطلب الثالث: المحددات السوسيو-ثقافية لسلوك رمي النفايات

المبحث الثالث: الممارسات البيئية في الفضاء الحضري: المقاربات النظرية و المحددات السوسيو –ثقافية

تمهيد:

تحظى الممارسات البيئية في الفضاء الحضري باهتمام كل من علم الإجتماع الحضري والأنثروبولوجيا البيئية، إذ لا يمكن فهم سلوك الأفراد اتجاه محيطهم البيئي بدون استحضار الأطر النظرية التي تعقد الصلة بين الإنسان وفضائه الاجتماعي، فالسلوك البيئي ظاهرة إنسانية مركبة تتشابك في انتاجها عوامل نفسية ثقافية واقتصادية ، كما أن سلوك رمي النفايات ظاهرة فعل يومي عادي غير أنه في باطنه يجسد موقفا ضمنيا في المجال العام، وتعبيرا عن منظومة قيم مكتسبة وانعكاسا لطبيعة الفضاء الحضري المحيط بالفرد، وقد أسهمت ثلاث مقاربات نظرية في تأطير هذه الظاهرة وتفسيرها، أولا نظرية علم النفس المحيط لغوستاف نيكولاس فيشر حيث رصدت أثر البيئة الحضرية في تشكيل سلوك ساكنيها ، ثانيا نظرية التفاعلية الرمزية عند إيرفينغ غوفمان التي تقرأ من خلالها الأبعاد الرمزية والأدائية للممارسات البيئية اليومية ، ثم المحددات السوسيو–ثقافية المرتبطة بالعوامل الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية المساهمة في صياغة سلوك الفرد اتجاه محيطه. من خلال هذه المقاربات الثلاثة يتبين بأن الفعل البيئي ليس نتاج إرادة فردية بل هو نتيجة تفاعل بين الفاعل الاجتماعي وبيئته المادية و الرمزية و الثقافية في الوقت ذاته.

المطلب الأول: نظرية علم النفس المحيط لفيشر والسلوك في الفضاء الحضري

إن العلاقة بين الإنسان وبيئته من أهم المسائل في العلوم الاجتماعية و النفسية، إذ لا تقتصر هذه العلاقة على الجانب الانتفاعي المادي بل تمتد لتمس الأبعاد النفسية و الاجتماعية و الثقافية للفرد، وقد أسهم علم النفس المحيط لغوستاف نيكولاس فيشر في تأسيس إطار نظري متماسك لفهم هذه العلاقة، إذ تنطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أن الفضاء الحضري ليس حيزا جغرافيا محايدا بل هو فضاء مشبع بالمعاني والرموز والدلالات التي تؤثر في توجيه وتشكيل سلوك الفرد.

أولا: مفهوم البيئة الحضرية وعلاقتها بالسلوك

للخوض في نظرية علم النفس المحيط يجب أولا استحضار مفهوم البيئة الحضرية بوصفها المتغير المركزي في هذه المقاربة، فالبيئة الحضرية ليست مجرد مجموعة من المباني والطرق بل هي وفقا للتعريف بوروح "الوسط أو الحيز الذي يعيش فيه الأفراد و يتشكل من هياكل مادية تظهر في أشكال البنايات والعمران

والطرق ومختلف المرافق... بالإضافة إلى نمط سوسيو– ثقافي تتحدد من خلاله طريقة العيش وأسلوب الحياة " (بوروح، 2021،ص145)

هذا التعريف يوضح أن البيئة الحضرية ذات بعدين مرتبطين، أولا بعد مادي يتجسد في التصميم العمراني والبنيه التحتية، وبعد معنوي يتجسد في منظومة القيم والمعايير التي تنظم سلوك الأفراد داخل هذا الفضاء، وقد أكد الباحثون أن ثمة مجموعة من المكونات لها علاقة في التأثير على سلوك الفرد في البيئة الحضرية ، منها ما يرتبط بخصائصه الفيزيولوجية و النفسية و الثقافية، و منها ما يرتبط بطبيعة البيئة المادية المحيطة به من أشكال وألوان ومساحات ومرافق، و يشير بوروح إلى أن" جميع خصائص البيئة المادية تؤثر على السلوك الإنساني بما تتضمنه الظروف المناخية والخصائص والمكونات التشكيلية للبيئة الحضرية من أشكال وألوان ومساحات ومرافق وغيرها "(بوروح، 2021،ص149)، إذا هناك عوامل ذاتية و موضوعية تتشابك في تفسير الظاهرة البيئية.

ثانيا: التأثير المتبادل بين نمط البيئة الحضرية والسلوك

تؤكد نظرية فيشر على وجود تأثير متبادل ودائم بين البيئة الحضرية وسلوك الأفراد، بحيث لا يكون الفرد متلقيا سلبيا لمؤثرات بيئته بل هو فاعل يؤثر فيها و يتأثر بها في الوقت ذاته، وتتجلى هذه العلاقة التبادلية في كون البيئة الحضرية المتقدمة و المنظمة تساهم في ترسيخ سلوكيات إيجابية لدى قطنيها وتعزز نظامها، على عكس البيئة المتخلفة والمهملة تنتج ما يسميه علماء النفس البيئي ب" تأثير النافذة المكسورة" حيث تولد هذا النمط من البيئة مزيدا من الإهمال والتدهور استمرار، و يقول بوروح في هذا الصدد أن" البيئة الحضرية المتخلفة تساهم في تشكيل نمط لسلوكيات وأفعال سلبية تخلق مشكلات وتساهم في توسيع الاختلالات الوظيفية بين الفرد و البيئة المحيطة وتفرض ممارسات وأفعالا عنيفة "(بوروح، 2021،ص155)، وفي هذا الإطار يمكن تفسير العديد من الظواهر التي يلاحظها الباحث ميدانيا في مدينة وهران من تباين واضح في السلوكيات البيئية بين الأحياء، فالأحياء التي تقل فيها حاويات النفايات وتتراكم فيها الأوساخ تتحول بذاتها إلى محرضات على مزيد من الإهمال، إذ يرسل الفضاء المهمل إشارات رمزية ضمنية تفيد بأن هذا المكان" لا ينتمي لأحد" و أن ما يلقى فيه لم يلاحظه أحد، و هذا ما يؤكده بوروح بقوله أن" نمط البيئة الحضرية يتحدد بشخصية قاطنيها التي تظهر في ممارساتهم و سلوكاتهم اليومية "(بوروح، 2021،ص 155)

ثالثا: المداخل النظرية في تفسير علاقة السلوك بالبيئة الحضرية

يميز الباحثون في علم النفس البيئي بين ثلاث مداخل نظرية رئيسية في تفسير العلاقة بين الإنسان وبيئته الحضرية ، أولا المدخل النفسي الذي يركز على الخصائص الفردية و العمليات السيكولوجية الداخلية

كالإدراك والتفكير والمشاعر، غير أن هذا المدخل وصل إلى حدوده حين تبين أن تأثير البيئة لا يمكن استيعابه بالنظر إلى الفرد المعزول عن سياقه، و المدخل الثاني هو المدخل الاجتماعي الذي يؤكد أن " البيئة الحضرية عبارة عن مجموعة من النظم الاجتماعية التي تعطيني للمكان خصائصه وتضفي عليه طابعه الخاص، وبالتالي فهذه النظم هي التي توجه الإنسان للتكيف مع البيئة الحضرية بمميزاتها و السيطرة عليها واستغلال مواردها لإشباع حاجاته" (بوروح، 2021،ص152)

وأخيرا المدخل التفاعلي الذي يستند في تحليلاته على التفاعل بين الأفراد وبين البيئة الحضرية من الناحية السلبية و الإيجابية ويرى بوروح في إطاره أنه "يمكن إرجاع نمط تشكيل سلوك وشخصية الفرد في البيئة الحضرية إلى الممارسات والأفكار التي تنتج عن الخبرات والخلفيات المشتركة النابعة من الأوضاع الاجتماعية و الثقافية و السياسية"(بوروح، 2021،ص154)

من خلال هذه المداخل يتضح أن ظاهرة رمي النفايات في الفضاء العام لوهران لا تقرأ بوصفها فعلا عشوائيا أو نتاج جهل بسيط، بل هي استجابة سلوكية تعكس الكيفية التي يدرك بها الفرد الفضاء الحضري المحيط به، و مدى إحساسه بالانتماء إليه أو الإغتراب عنه، وهو ما يجعل من نظرية علم النفس المحيط أداة تحليلية لا غنى عنها في تأطير الدراسة الميدانية.

المطلب الثاني: الممارسات البيئية في ضوء التفاعلية الرمزية عند غوفمان

يعد غوفمان من أبرز منظري التفاعلية الرمزية في القرن العشرين، وقد أسهم بمنظوره المسرحي الفريد في فهم الكيفية التي يؤدي بها الأفراد أدوارهم الاجتماعية في الفضاءات المختلفة، وكيف تتشكل المعاني الرمزية وتتبادل في سياق التفاعل اليومي، و لا تقف أهمية هذه النظرية عند حدود السوسيولوجيا ، بل تمتد لتقدم أدوات تحليلية خصبة في فهم الممارسات البيئية في الفضاء الحضري، إذ تمكن الباحث من قراءة سلوك رمي النفايات لا بوصفه فعلا ماديا بل بوصفه ممارسة ثقافية رمزية تنبثق من سياقات التفاعل الاجتماعي اليومي.

أولا: التفاعلية الرمزية والفضاء العام

تنطلق التفاعلية الرمزية من مسلمة مفادها أن الحياة الاجتماعية مبنية على تبادل الرموز والمعاني بين الفاعلين الاجتماعيين، وأن كل فعل اجتماعي يكتسب معناه من السياق التفاعلي الذي يقع فيه، و يشير الباحثان مشرود ومخلوف لفهم هذه المسلمة في علاقتها بالفضاء الحضري إلى أن "التفاعل الاجتماعي هو تلك العمليات الإدراكية الوجدانية المتبادلة بين طرفين اجتماعيين... في موقف أو وسط اجتماعي معين، حيث يكون سلوك

أي منهما منبها أو مثيرا لسلوك الطرف الآخر عبر وسيط(لغة وأعمال وأشياء) وفيه يتم تبادل رسائل معينة ترتبط بغاية أو هدف معين"(عقل، 1988،ص93)

بهذا المعنى يصبح الفضاء العام الحضري مسرحا تفاعليا تنتج فيه المعاني و تتحول وتعاد صياغتها يوميا، وقد أكد غوفمان على دور "طقوس التفاعل" في انتاج المعاني الجماعية المشتركة و إعادة انتاجها ، إذ يرى أن "الأفراد المنتمين إلى جماعة اجتماعية معينة يتفاعلون فيما بينهم لينتجوا رموزا ومعاني وتصورات وتمثلات مشتركة في ظل طقوس التفاعل، ويتمثل دور هؤلاء الأفراد في إعادة إنتاج هذه الخصائص المشتركة عن طريق الممارسة الثقافية " (بودبزة و شراد، 2015،ص266

ومن هنا تغدو الممارسات البيئية في الفضاء العام كرمي النفايات ممارسات ثقافية رمزية لا تعاش فرديا بل تنتج و تعاد في سياق التفاعلات الجماعية اليومية التي ترسخها وتبررها وتجعلها تبدو طبيعية.

ثانيا: المنظور المسرحي و سلوك الفرد في الفضاء العام

يرتكز غوفمان في تحليله للتفاعل الاجتماعي على استعارة مسرحية بالغة الأهمية، إذ يشبه الحياة الاجتماعية بمسرح يؤدي فيه الأفراد أدوارهم أمام جمهور يراقبهم ويقيمهم، ويرجع هذا المفهوم إلى "الإدارة الانطباعية"، الذي يفيد بأن الأفراد يضبطون سلوكهم في الفضاء العام بما يتوافق مع الصورة التي يرغبون في تقديمها مع أنفسهم للأخرين، مما يعني أن الأداء الاجتماعي في الفضاء العام ليس تمثيلا زائفا بل هو تعبير حقيقي عن الهويات الاجتماعية والانتماءات الثقافية ، إذا لفعل رمي النفايات في الشارع أو الامتناع عنه دلالات رمزية تتجاوز الفعل المادي البسيط، فهو تعبير عن موقف الفرد من المجال العام ومدى شعوره بالمسؤولية اتجاهه، و هو أيضا مؤشر على الكيفية التي يقرأ بها الفرد توقعات محيطه الاجتماعي وما يسمح به هذا المحيط وما يرفضه، وحين تغيب الرقابة الاجتماعية ويسود شعور اللامبالاة فتنهار الضوابط التفاعلية و تنتشر الممارسات البيئية السلبية إذ لا يجد الفرد في محيطه التفاعلي ما يدفعه لمراجعة سلوكه أول الخروج عن النمط السائد، هذا ما يوضح جزءا كبيرا مما تكشف عنه الدراسات الميدانية من أن السكان يبدون حرصا شديدا على نظافة منازلهم لكن لا يبدون الحرص ذاته في الفضاء العام، هذا التناقض يفسره الإطار التفاعلي بغياب الرقابة الرمزية الملزمة في الفضاء.

ثالثا: من الفعل الفردي إلى النمط الجماعي

تضيف التفاعلية الرمزية للممارسات البيئية بعدا تحليليا جوهريا ، و هو القدرة على تفسير الكيفية التي يتحول بها سلوك فردي إلى نمط جماعي مكرس، فالفضاءات الحضرية التي تنتشر فيها النفايات لا تعكس

مجرد تراكم في أفعال فردية، بل هي نتاج منظومة رمزية جماعية تحدد ضمنيا ما هو مقبول في هذا الفضاء وما هو مرفوض وتقول فاهم حنان في هذا الصدد أن "الممارسة الثقافية تتشكل استنادا إلى مجموعة من القيم والمعايير المتفق عليها والأفكار والمعتقدات والتمثلات والمعاني والرموز التي توجه وتحدد نشاط و سلوك و ممارسات الفرد"(فاهم، 2024،ص61)، وهذا ما يعني أن سلوك رمي النفايات حين يتحول إلى عادة جماعية يكتسب شرعية رمزية تجعل مخالفته أمرا يستوجب جهدا اجتماعيا واعيا ، وتكشف هذه القراءة عن أهمية السياق التفاعلي في تشكيل السلوك البيئي ضمن مدينة وهران، إذ يختلف الفعل البيئي اختلافا ملحوظا بحسب الفضاء الذي يقع فيه، فما يمارس في الحي الشعبي قد لا يمارس في الفضاء التجاري أو المؤسسي، وهذا التباين لا يفسر بفوارق في الوعي الفردي بقدر ما يفسر بتباين في الأنظمة الرمزية التفاعلية التي تحكم كل فضاء، و في الأخير فإن ما تمنحه مقاربة غوفمان لدراستنا هو القدرة على قراءة الممارسة البيئية لا بوصفها فعلا معزولا بل بوصفها منتجا للتفاعلات الرمزية المتراكمة داخل الجماعة الحضرية.

المطلب الثالث: المحددات السوسيو–ثقافية لسلوك رمي النفايات

يتشكل سلوك رمي النفايات في الفضاء الحضري بفعل منظومة من المحددات المتشابكة ، إذ كيف تتداخل فيها الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في علاقة جدلية مستمرة، وقد أكد المدخل الاجتماعي في تفسيره هذه الظاهرة على أنه "لا يمكن النظر إلى البيئة الحضرية باعتبارها مجرد تجمع أفراد و جماعات، ولكنها عبارة عن مجموعة من النظم الاجتماعية التي تعطي للمكان خصائصه وتضفي عليه طابعه الخاص"(بوروح،2021،ص152) و بهذا المعنى يصبح السلوك البيئي محكوما بالبنى الاجتماعية القائمة لا بالإرادة الفردية وحدها.

أولا: العوامل الاجتماعية

يمثل التماسك الاجتماعي والشعور بالانتماء إلى المجال العام ركيزتين أساسيتين في تشكيل السلوك البيئي الحضري، فحين يشعر الفرد بأن الفضاء المحيط به ملك مشترك يستوجب العناية، تتشكل لديه فكرة تدفعه نحو الممارسات البيئية الإيجابية ، و على عكس عندما يغيب الشعور بالانتماء فيولد موقفا من اللامبالاة اتجاه الفضاء العام، كما أن التنشئة الاجتماعية تمثل إحدى أهم آليات تشكيل السلوك البيئي، إذ تكرس الأسرة و المدرسة والمجتمع المحلي منظومة من القيم والمواقف اتجاه البيئة العامة تنعكس لاحقا في ممارسات الأفراد اليومية، و قد أكد الفاعوري في هذا الشأن أن "الاهتمام بالنظافة هو سلوك تجب تنميته والحفاظ عليه منذ الصغر وزرعه في النشىء، ومن المؤكد أنه مهما كانت الجهود المبذولة في رفع القمامة دون المشاركة الفعالة من الجمهور فسوف تضيع هذه الجهود" (الفاعوري،2022،ص1180) وهذا ما يؤكده الدور المحوري للتنشئة

الاجتماعية في ترسيخ الوعي البيئي الجمعي، ويلعب كذلك الضغط الاجتماعي و ديناميكيات المجتمع دورا محوريا في ضبط الممارسة البيئية أو تعطيل ضبطها، فحين يصبح رمي النفايات في الشارع سلوكا مقبولا في وسط اجتماعي معين يميل الأفراد إلى تبنيه، استجابة لمعايير المجموعة السائدة لا عن قناعة ذاتية، وهو ما يجعل الفعل البيئي السلبي ينتشر بآليات اجتماعية متشابهة لانتشار الممارسات الاجتماعية الأخرى بعيدا عن أي إرادة فردية واعية.

ثانيا: العوامل الثقافية

تتصل العوامل الثقافية بمنظومة القيم والمعتقدات والتمثلات الجماعية التي تؤطر علاقة الإنسان بالفضاء العام اتصالا وثيقا، إذ تشكل الثقافة المرجعية الرمزية التي تمنح الممارسات البيئية معناها الاجتماعي وتحدد موقعها في سلم الأولويات القيمية للجماعة، وقد أشارت حنان في دراستها إلى أن "القيم الثقافية هي مجموعة المعتقدات الظاهرة أو الكامنة التي تظهر نتيجة عملية التأثر و التأثير بين الأفراد في البيئة التي يعيشون فيها، وتعمل القيم داخلها على تكريس هذا التفاعل "(فاهم، 2024،ص57

وعليه فإن النظافة العامة و إدارة النفايات متجذر في منظومة القيم الثقافية السائدة ولا ينفصل عنها، وتبرز أيضا في هذا السياق ظاهرة التغير الثقافي التي تعرف بأنها" التغيرات المادية وغير المادية للثقافة، التي تتمظهر عند إضافة أو حذف أو تعديل في المركب الثقافي، ولعل هذا التغير تتسبب فيه العديد من العوامل كالاحتكاك بالثقافات الأخرى والتكنولوجيا وما فرضته من وجوب استجابة عناصر الثقافة لها "(فاهم، 2024،ص58)

ففي ظل موجات التحضر المتسارع الذي شهدته مدن جزائرية كوهران، تعرض النظام القيمي التقليدي المنظم للعلاقة بالفضاء العام لاختلالات جوهرية، إذ لم تترافق عمليات التوسع العمراني مع تنمية ثقافية و قيمية مواكبة، فنشأ عن ذلك فراغ أسهم في تراجع الالتزام البيئي الجماعي وهو ما أظهرته الدراسات الميدانية في المدن الجزائرية، وقد كشفت الدراسة التاريخية أن اهتمام المجتمعات الجزائرية بنظافة الفضاء العام ليس وليد لحظة راهنة ولا مأخوذ من ثقافات أخرى، بل تمتد جذوره إلى موروث حضاري عريق، فقد أثبتت دراسة صدام المتعلقة بالنظافة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أن" النظافة في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية كان لها ارتباط وثيق بمبادئ وثقافة المجتمع الجزائري المسلم"(رزيم، 2020،ص262)

ثالثا: العوامل الاقتصادية

لا يمكن تجاهل العوامل الاقتصادية في قراءة الممارسات البيئية الحضرية، إذ تساهم الأوضاع المعيشية للأفراد وطبيعة أحيائهم وما تتوفر عليه من خدمات في تحديد علاقتهم بالنظافة العامة، ويلاحظ بوروح أن" البيئة الحضرية المتخلفة تساهم في تشكيل نمط لسلوكيات وأفعال سلبية تخلق مشكلات وتساهم في توسيع الاختلالات الوظيفية بين الفرد والبيئة المحيطة "(بوروح، 2021،ص155)

وفي هذا الإطار تصبح أحياء السكن الهش والمناطق ذات الكثافة السكانية العالية والخدمات المحدودة فضاءات مستنزفة تنتج ممارسات بيئية سلبية، لا لأن قاطنيها يفتقرون لقيم النظافة بل لأن البنية التحتية المتردية تفقد الفرد شعوره بالانتماء للفضاء المحيط به، إضافة لذلك يوجد بعد المسؤولية المؤسسية حيث أشار الباحثون إلى أن غياب الكفاءة في إدارة النفايات الحضرية وعدم الانتظام في جمعها يولد شعورا لدى السكان بأن المسؤولية ملقاة على عاتق البلدية والدولة فقط، فيغيب الشعور بالمسؤولية الفردية والجامعية.

وفي الأخير فإن هذه العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لا تعمل بصورة مستقلة عن بعضها، بل تتشابك وتتفاعل في انتاج نمط السلوك البيئي السائد في الفضاء الحضري، لذلك فعلى أي مقاربة تعالج ظاهرة النفايات في مدينة وهران أن تستلزم استراتيجية متكاملة تعالج هذه الأبعاد في آن واحد بدلا من الاكتفاء بالحلول التقنية و الإجرائية.

خاتمة:

يتبين من خلال هذا المبحث أن الممارسات البيئية في الفضاء الحضري ظاهرة مركبة لا تقبل القراءة الأحادية، فقد أثبتت نظرية علم النفس المحيط أن الفضاء الحضري بما يحتويه من بنى مادية و إشارات بيئية يؤثر في توجيه سلوك الأفراد، فالبيئات المتخلفة التي تنتشر فيها النفايات وتغيب عنها الحاويات الكافية لا تعكس سلوكا سلبيا فحسب بل تعيد انتاجه عبر آليات الإشارة الرمزية والتكيف السلوكي.

كما كشفت التفاعلية الرمزية عند غوفمان أن الفضاء العام مسرح تفاعلي تنتج فيه المعاني الاجتماعية وتتبادل، إذ يحمل فعل رمي النفايات في الشارع دلالة رمزية تتجاوز الفعل المادي البسيط لتعبر عن موقف الفرد من المجال العام ومدى احساسه بالانتماء إليه و المسؤولية اتجاهه، وحين تغيب الرقابة الاجتماعية وتسود مشاعر اللامبالاة تتحول الممارسة الفردية السلبية إلى نمط جماعي مكرس يصعب كسره بمجرد الحلول التقنية و التشريعية.

أما بالنسبة للمحددات السوسيو–ثقافية فقد تبين أن التنشئة الاجتماعية و قيم الانتماء إلى الفضاء المشترك تمثل الأساس لأي سلوك بيئي مسؤول، و أن موجات التحضر غير المخطط لها التي شهدتها المدن الجزائرية كوهران أفضت إلى تآكل منظومة القيم البيئية التقليدية دون أن تعوض بقيم حضرية حديثة، دون أن ننسى الهشاشة الاقتصادية وقصور الخدمات البيئية في بعض الأحياء يفاقمان من حدة هذه الاختلالات.

الفصل الثاني: الإطار الميداني

المبحث الأول: السلوك الموروث داخل الحي والأسرة

المبحث الثاني: الممارسات الاعتيادية وإعادة انتاجها

المبحث الثالث: أثر التنشئة الاجتماعية في تشكيل السلوك البيئي

المبحث الرابع: الهابيتوس الحضري وإعادة انتاج الممارسة البيئية

انطلاقاً من الطبيعة الأنثروبولوجية لموضوع دراستنا، ومن أجل بلوغ أهدافها المتمثلة في فهم الممارسات البيئية في الفضاء الحضري فهماً عميقاً من الداخل، اعتمدنا على المنهج الكيفي، الذي يُقصد به *"إجراء دراسات بحثية اعتماداً على الملاحظات الميدانية والمقابلات للحصول على المعلومات دون اللجوء إلى الاستخدامات الإحصائية"* (الحمداني وآخرون، 2006، ص171). وتكمن الغاية من اختيار هذا المنهج تحديداً في أن ظاهرة رمي النفايات لا تُقرأ بالأرقام والنسب بل بالمعاني والتصورات والرموز التي يحملها الأفراد في علاقتهم بالفضاء العمومي، وهي معانٍ لا تنكشف إلا من خلال الاقتراب المباشر من الواقع المعاش.

ومن أنواع المناهج الكيفية اعتمدنا تحديداً على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة كما تجري في سياقها الطبيعي ثم تحليلها وتفسيرها في ضوء أطرها النظرية والسياقية. وقد وظّفناه في دراستنا من أجل ثلاث غايات متكاملة:

الوصفي من أجل رصد الممارسات البيئية والسلوكيات المرتبطة برمي النفايات كما تجري داخل الفضاء الحضري لمدينة وهران في سياقها الطبيعي دون تدخل أو توجيه.

التحليلي لربط هذه الممارسات بسياقها الاجتماعي والثقافي من خلال استحضار المقاربات النظرية كنظرية التفاعلية الرمزية عند غوفمان ونظرية علم النفس المحيط لفيشر ومفهوم الهابيتوس لبورديو، لفهم الأبعاد الرمزية والتنشيئية الكامنة وراء هذه السلوكيات.

إضافة للفهم المعمّق لتجاوز الظاهر نحو استجلاء المنظومة القيمية والتصورات الجماعية التي تُنتج سلوك الفرد في الفضاء العمومي وتُعيد إنتاجه.

أما ادوات البحث اعتمدنا الملاحظة الميدانية الاثنوغرافية حيث تُعتبر الملاحظة الميدانية الأداة الأساسية في البحث الأنثروبولوجي، "فمنذ نشأة الأنثروبولوجيا اعتمدت على الملاحظة المباشرة لكونها تمنح الباحث معرفة نابعة من داخل مجتمع الدراسة، ولأنها تسمح بمشاهدة الأشخاص في إطار حياتهم اليومية، وليست فقط فيما يتبادل لونه من أحاديث"(مقداد، 2023، ص162). وهذا الانخراط الميداني المباشر يُتيح فهماً من الداخل يتجاوز النظرة السطحية الخارجية نحو إدراك عميق للمعاني والتصورات والرموز التي توجّه السلوك البيئي.

وقد وظّفنا هذه الأداة في دراستنا من خلال النزول الميداني المتكرر إلى فضاءَي شارع العربي بن مهيدي والواجهة البحرية بوهران، حيث رصدنا بأعيننا أنماط التعامل مع النفايات في حضور الآخرين وفي غيابهم، واختلاف السلوكيات بحسب نظافة الفضاء أو إهماله، والمشاهد المتكررة التي تكشف عن أنماط

جماعية راسخة كرمي النفايات أمام الحاويات لا داخلها، أو وجودها في محيط المقاهي المكتظة. والغاية من ذلك هي الاقتراب الأول من الظاهرة قبل المقابلات، والتحقق مما إذا كانت الممارسات الفعلية تتطابق مع ما يُصرّح به المبحوثون أم تتباين معه.

إضافة للمقابلات المعمّقة فهي تعتبر أداة بحثية نوعية تقوم على حوار مفتوح بين الباحث والمبحوث بهدف الوصول إلى الدوافع والتصورات والمعاني الكامنة وراء السلوكيات الظاهرة. وإذا كانت الملاحظة تُجيب عن سؤال "ماذا يفعل الأفراد؟" فإن المقابلة تُجيب عن سؤال "لماذا يفعلون ذلك؟ وكيف يُبررونه؟".

وقد وظّفنا هذه الأداة من خلال إجراء مقابلات معمّقة مع المبحوثين التسعة، استطعنا من خلالها:

- فهم كيف يُبرّر الأفراد سلوكهم البيئي وكيف يُفسّرون تصرفات الآخرين في الفضاء العمومي.
- الكشف عن أثر التنشئة الأسرية التي تلقّوها في الصغر على سلوكهم الراهن اتجاه الفضاء المشترك.
- استجلاء التصورات الرمزية التي يحملونها حول ملكية الفضاء العمومي والمسؤولية تجاهه.
- فهم الفجوة بين ما يُعلنونه من قيم بيئية إيجابية وما يمارسونه فعلياً في الشارع.

تمثّل مجتمع البحث في مقيمين ومترددين على فضاءين عموميين في مدينة وهران، وقد وقع اختيارنا عليهما لكونهما يجسّدان نماذج حضرية متباينة تتقاطع فيها فئات اجتماعية مختلفة يومياً هما شارع عربي بن مهيدي و شارع واجهة البحر المعروف باسم فروندمار

وقد أُجريت الدراسة في الفترة الممتدة ما بين جانفي 2026 إلى ماي 2026 على مراحل متفرقة.

و اعتمدنا على العينة المقصودة، وهي نوع من العينات غير الاحتمالية يقوم فيها الباحث باختيار المبحوثين بصورة مقصودة وفق معايير محددة تخدم أهداف البحث، إذ *"يلجأ الباحث إلى انتقاء عينته بطريقة مقصودة وفق ما يراه مناسباً لأغراض بحثه" (الحمداني وآخرون، 2006، ص181).

وقد آثرنا هذا النوع من العينات تحديداً لأن دراستنا الأنثروبولوجية لا تسعى إلى التمثيل الإحصائي بل إلى العمق النوعي، فالهدف ليس قياس نسبة من يرمون النفايات بل فهم المنظومة الرمزية والثقافية التي تُنتج هذا السلوك، وهذا الفهم لا يشترط عدداً كبيراً بل يشترط تنوعاً في الخلفيات الاجتماعية والثقافية للمبحوثين. وقد تمثّلت العينة في "9 أفراد"، منهم " 4 ذكور و5 إناث"، تتراوح أعمارهم بين "22 و64 سنة"، من مستويات دراسية ومهنية متنوعة بين ربّات منزل وطلبة وتجار وعمال، وجميعهم من قاطني أو مترددي الفضاءين المدروسَين.

الوصف الاثنوغرافي لميدان الدراسة:

تقع مدينة وهران شمال غرب الجزائر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتُعدّ من أعرق المدن الساحلية في المغرب الأوسط. تأسست عام 290هـ/903م على يد بحارة أندلسيين، لتنشأ في البداية كمحطة تجارية قبل أن تتطور إلى حاضرة مزدهرة. تتميز بتضاريس خاصة إذ يقع جزء منها في السهل وآخر على منحدرات جبل مرجاجو، مما أضفى على نسيجها العمراني طابعاً فريداً.(بوتشيشة، 2018،ص 215)

عرفت وهران على مر العصور تعاقب حضارات متعددة أندلسية، زيانية، عثمانية، إسبانية، وفرنسية أفرزت مشهداً ثقافياً مركباً وهوية متعددة الطبقات. هذا التنوع يتجلى في بنيتها المعمارية التي تجمع بين القصبة العتيقة، والأحياء العثمانية، والمباني الكولونيالية. كما أن الوجود الأندلسي ترك بصمة راسخة في الموسيقى الوهرانية، حيث نشأ الراي في أحضان هذه المدينة بوصفه تعبيراً عن التمازج الثقافي وتوترات الحياة اليومية.

ارتبطت وهران تاريخياً بالبُعد البحري والتجاري، مما جعلها فضاءً للتبادل لا للانغلاق، وأوجد لدى ساكنتها مزاجاً حضرياً منفتحاً يميّزها عن غيرها من المدن الداخلية.

أما الأحياء التي جرت فيها الدراسة هي:

أولا شارع العربي بن مهيدي: يُعتبر من أهم الشوارع الحيوية والتجارية بمدينة وهران، نظراً لموقعه المركزي الذي يجعله نقطة وصل بين عدد من الأحياء والأزقة التاريخية، ويتميّز بطابعه المعماري الأوروبي الكلاسيكي الموروث عن الحقبة الاستعمارية، ويضم عدداً كبيراً من المحلات التجارية والمقاهي والمطاعم التي تضفي عليه حركة اجتماعية دائمة تجعله مختبراً حضرياً غنياً لرصد الممارسات البيئية اليومية و الذي عرف سابقا باسم (Rue d'Arzew)

ثانيا الواجهة البحرية (فروندمار):تُعدّ من أبرز الفضاءات السياحية والترفيهية بالمدينة، تمتد على طول الساحل مطلّةً على البحر الأبيض المتوسط وميناء وهران، وتتميّز بمبانٍ ذات طابع أوروبي كلاسيكي وفضاءات مفتوحة للتنزه، وتشهد نشاطاً ترفيهياً وحياةً ليليةً خاصةً في فصل الصيف. واختيارها يتيح رصد الممارسات البيئية في فضاء يُفترض أن يكون فضاء استمتاع وترفيه مما يجعل التلوث فيه أكثر دلالة أنثروبولوجية.

المبحث الأول: السلوك الموروث داخل الحي والأسرة

تمهيد:

تنطلق قراءتنا الأنثروبولوجية لهذا المحور من مسلّمة جوهرية مفادها أن السلوك البيئي الذي يمارسه الفرد في الفضاء الحضري لا ينبثق من فراغ، بل هو حصيلة إرث اجتماعي وثقافي تراكم داخل الوحدتين التأسيسيتين اللتين تشكّل فيهما وعيه الأول: هما الأسرة والحي. وقد كشفت المقابلات الميدانية مع المبحوثين التسعة عن خيط رابط بين ما تلقّوه في فضاءاتهم الأولى وما يمارسونه اليوم في الفضاء العمومي، ولفهم هذه الديناميكية في عمقها، قسمنا المحور إلى ثلاثة عناوين فرعية تتدرّج من الفضاء المكاني الأول إلى المنظومة القيمية المنقولة داخل الأسرة، ثم إلى الفجوة الرمزية التي تنشأ بين الخاص والعام.

أولاً: الحي بين الذاكرة والسلوك الراهن

يحتل الحي في المخيال الجمعي للمبحوثين مكانةً مرجعية استثنائية، إذ لا يُستحضر بوصفه مجرد مكان للإقامة بل بوصفه الإطار الأول الذي تشكّلت فيه تصوراتهم حول ما يستحق الاعتناء وما لا يستحقه. وقد جاءت إجابات المبحوثين عن طبيعة النظافة في الحي الذي نشأوا فيه كاشفةً عن هذا البُعد التأسيسي، فالمبحوث الثاني يُقرّ بأن "السكان كانوا يهتمون أكثر بالنظافة مقارنة باليوم، وأعتقد أن هذا انعكس بشكل ايجابي على سلوكي"، والمبحوث الثالث يتذكر أنه كان "يرى احترامًا أكبر للشارع والحي، وهذا ما جعلني أرفض رمي النفايات عشوائيًا". وهذا الاستحضار ليس مجرد حنين إلى الماضي، بل هي إفصاح عن تصورات مرجعية ظلت راسخة في الوعي الجمعي وأسهمت في رسم معالم السلوك الراهن.

ومما يكشف عمق هذا الأثر أن المبحوث الأول يصرّح بأن " الحي كان نظيفًا والناس يحافظون عليه وما زلت أحمل نفس العادات حتى اليوم"، في حين يبيّن المبحوث الخامس أن "كان هناك نظام واضح لرمي النفايات وهذا ما تعلمته منذ الصغر وما زلت أطبقه"، و استمرارية هذا السلوك بين ما عاشه الفرد في الحي الأول وما يمارسه في الحاضر تجسّد ما ذهب إليه بوروح حين قال أن "نمط البيئة ينعكس بالدرجة الأولى على سلوكيات وأفعال قاطنيها على اعتبار أن البيئة الحضرية والتصميم الدقيق لعناصرها ومتطلباتها من شأنه توجيه السلوك الإنساني وفق ما يحقق نوعًا من التكامل والانسجام بين البيئة والسلوك الإنساني المتحضر" (بوروح، 2021، ص140).

غير أن للمبحوث التاسع رأي آخر فيلاحظ أن "الممارسات تغيّرت بسبب كثرة السكان والهجرات الريفية"، وهو ما يلقي الضوء على ظاهرة تفكّك المرجعية الأولى للفضاء جرّاء موجات التحضر المتسارع التي

شهدتها وهران، مما يؤكد أن الحي بوصفه مختبرًا اجتماعيًا أوليًا ينتج لدى ساكنيه توقعات ضمنية حول ما ينبغي أن يكون عليه الفضاء العمومي، وحين تتزعزع هذه التوقعات بفعل التحولات الديموغرافية تتراجع معها الضوابط السلوكية الموروثة.

ثانيًا: الأسرة ناقلةً للمنظومة القيمية البيئية

إذا كان الحي يمثل الإطار المكاني الأول للتنشئة البيئية، فإن الأسرة تمثل الوسيط الإنساني الذي يترجم هذا الإطار إلى قيم مستدخلة وممارسات مبكرة. وقد برز هذا البُعد بقوة في إجابات المبحوثين حين استرجعوا ما علمتهم إياه أسرهم المرتبط بالنظافة، فالمبحوث الأول يتذكر أن "والديه كانا ينصحانه بعدم رمي النفايات في الأماكن العامة، وكانا يقولان إن النظافة من الإيمان والوسخ من الشيطان"، والمبحوث السادس يقرّ أن "أهله لطالما حدّثوه عن النظافة وعن عدم رمي النفايات عشوائيًا، فالنظافة من القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها المسلم".

لاحظنا أن توجيهات الأسرة لم تكن في أغلب الحالات مجرد توجيهات نظرية مجردة، بل هي مرتبطة بمواقف حياتية ملموسة تحفر في الذاكرة وتشكّل الوعي، و مثال على ذلك ما رواه المبحوث الرابع: "كنت صغيرة ومع أهلي في السيارة ورميت غلاف حلوى من نافذة السيارة، فوبّخني أبي وأخبرني بأن أحتفظ بها حتى نجد حاوية و أن لا أرميها في الشارع، وانعكس هذا التصرف عليّ الآن، فأنا أقوم بحمل النفاية معي حتى أجد حاوية وأرميها". هذا التوبيخ التربوي المعاش بشكل جسدي وانفعالي ينطبع في الذاكرة الحركية للفرد وتصبح بمثابة ضبط داخلي يوجه سلوكه لاحقا دون الحاجة إلى إعادة المحاسبة العقلية في كل مرة، وهو ما تفسّره لشلاش بقولها إن "النظافة سلوك مكتسب نتعلّمه نتيجة للتربية التي ننشأ ونتربى عليها" (لشلاش، 2012، ص38).

وتتباين الأسر في طبيعة ما تنقله من قيم بيئية، فبينما حرصت أسرة المبحوث الخامس على نظافة المكان "وليس فقط المنزل"، ووصفها بالصرامة الشديدة، نجد أن أسرة المبحوث السابع "كانت فقط توصيه بالحفاظ على نظافة المنزل، ولم تهتم بما يفعله في الشارع". وهذا التباين الأسري ينتج بالضرورة هابيتوس متفاوت في علاقته بالفضاء العمومي، وهو ما يفسّر لماذا يحافظ بعض الأفراد على نظافة الشارع بنفس الحرص الذي يبدونه اتجاه منازلهم، في حين يكتفي آخرون بحماية الفضاء الخاص وإهمال الفضاء المشترك.

ثالثًا: الفجوة الرمزية بين الفضاء الخاص والفضاء العمومي

يكشف التحليل المعمّق لإجابات المبحوثين عن ظاهرة أنثروبولوجية مهمة، هي انقسام الموروث الأسري بين فضائين متباينين: فضاء المنزل بوصفه فضاءً خاصًا يستوجب كل العناية والحماية، و فضاء الشارع بوصفه فضاءً مشتركًا تتلاشى فيه المسؤولية الفردية. وقد عبر المبحوث الخامس عن هذا التباين حين قال: "بعض الناس يهتمون فقط بنظافة منازلهم ولا يهتمون بالشارع"، والمبحوث السادس يرى أن "غياب الشعور بالانتماء يجعل الناس لا يهتمون بالفضاء العام"، فيما يلاحظ المبحوث الثامن أن "الفضاء العام يجب أن يكون مسؤولية مشتركة بين الجميع".

وهذا الانقسام يفسر في الإطار النظري لما طرحته لشلاش من أن "النظافة ترتفع كلما ارتفعت درجة الملكية للفضاء وتنخفض كلما أصبح الفضاء مشتركًا وعامًا، فنجد الفرد يهتم بغرفته الخاصة أكثر من نظافة الغرف المشتركة، ونفس الشيء ينطبق على الفضاء العام والفضاء الخاص" (لشلاش، 2012، ص48)، والأمر لا يتعلق هنا بانعدام قيمة النظافة لدى الفرد، بل بحدود النظام الرمزي الذي تنتجه الأسرة والذي يحدد ما يدخل ضمن دائرة المسؤولية وما يقع خارجها، وقد أضاف المبحوث التاسع بُعدا تفسيريًا إضافيًا حين ذهب إلى أن إهماله للفضاء العام هو "نوع من التمرد" على الدولة بحيث لا توفر وسائل النظافة الكافية، وهذا التأطير الاحتجاجي للممارسة السلبية يكشف أن الفجوة بين الخاص والعام لا تنتجها الأسرة وحدها، بل تغذيها أيضًا خيبة الأمل من الإدارة والخدمات العمومية، مما يجعل السلوك البيئي السلبي في بعض حالاته موقفًا سياسيًا ضمنيًا لا مجرد قصور في التنشئة.

خاتمة:

خلص هذا المبحث إلى أن السلوك البيئي موروث في جوهره، يتشكّل داخل الأسرة والحي قبل أن يتجلى في الفضاء العمومي. والفارق الجوهري بين من يحترم الفضاء المشترك ومن يُهمله لا يعود إلى اختلاف في القيم المُعلنة بل إلى اختلاف في نوع التنشئة التي تلقّاها كل منهما، فالأسرة التي تُنشّئ على احترام الشارع بالقدر ذاته الذي تُنشّئ على احترام المنزل تُنتج فرداً يحمل مسؤولية الفضاء المشترك بصورة طبيعية دون حاجة إلى ضغط خارجي.

المبحث الثاني: الممارسات الاعتيادية وإعادة إنتاجه

تمهيد:

إن أبرز ما تكشفه الدراسة الميدانية في هذا المحور هو أن الممارسات البيئية السلبية في الفضاء الحضري لوهران لا تبقى محصورة في دائرة الفعل الفردي العابر، بل تتحول بمرور الوقت وعبر آليات اجتماعية دقيقة إلى ممارسات اعتيادية متجذّرة، تُعاد إنتاجها بصورة لا واعية داخل النسيج الحضري اليومي. وما يجعل هذه الإشكالية أكثر تعقيداً من الناحية الأنثروبولوجية هو أن إعادة الإنتاج هذه لا تمارس على مستوى الخطاب المعلن فقط، بل عبر آليات خفية كالتطبيع والتقليد وتأثير الفضاء ذاته.

ولفهم هذه الآلية في عمقها النظري لا بد من استحضار ما أسّس له بورديو، إذ "يركز مفهوم الممارسة عنده على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي، وهي العلاقة التي تنتهي بأن يقوم الفاعل بإعادة إنتاج هذا البناء، فالممارسة هي الفعل الاجتماعي الذي يقوم فيه الفاعلون بالمشاركة في إنتاج البناء الاجتماعي وليس مجرد أداء أدوار بداخله" (دباب، 2021، ص144). ومن هذا المنطلق يتضح أن سلوك رمي النفايات في الفضاء الحضري لوهران ليس استجابة فردية عابرة، بل هو ممارسة اجتماعية يُعيد الفاعلون إنتاجها باستمرار دون وعي، فكلما مارس الفرد هذا السلوك في غياب أي رادع اجتماعي أو رمزي رسّخه في منظومته السلوكية وأعاد إنتاجه في مواقف مماثلة، ولتفكيك هذه الآليات المتشابكة ينقسم هذا المحور إلى ثلاثة عناوين تنطلق من ظاهرة التكيف إلى التقليد الاجتماعي ثم التأثير المادي الرمزي للفضاء.

أولاً: التكيف مع المشاهد السلبية وانهيار الرقابة الاجتماعية

تُعد ظاهرة التكيف مع المشاهد السلبية من أكثر الظواهر حضورًا في إجابات الأفراد ، وهي تصف العملية التي بموجبها تفقد الممارسة البيئية السلبية وصمتها الاجتماعية وتتحول إلى سلوك مقبول أو محايد داخل الوعي الجمعي، فالمبحوث الثالث يلاحظ أن "الناس ألفت هذه المناظر ولم تعد تستنكرها"، والمبحوث السادس يرى أن "كثرة الأوساخ جعلت الناس غير مبالين"، والمبحوث التاسع يشير إلى وجود "ألفة مع مشاهد النفايات داخل بعض الأحياء".

وما يمنح هذه الإجابات قيمة تحليلية فائقة هو أن التكيف لا يتوقف عند مجرد قبول المشهد السلبي بصريًا، بل يمتد ليُفقد آليات الرقابة الاجتماعية غير الرسمية فاعليتها. فالمبحوث الأول يقول إنه "أحيانًا يتم تجاهله وكأن الأمر عادي"، والمبحوث الخامس يقرّ بأن "غالبًا لا أحد يتدخل بسبب انتشار الظاهرة"، والمبحوث

السابع يصرّح بأن "أصبح الناس معتادين على رؤية هذه التصرفات"، وهذا التراجع التدريجي للرقابة الاجتماعية التفاعلية يُفسَّر من منظور غوفمان بغياب "الضغط التفاعلي" الذي يجعل الفرد يُعيد النظر في سلوكه وفق ما تمليه عليه قراءته لتوقعات محيطه الاجتماعي، إذ حين تغيب الرقابة الاجتماعية وتسود مشاعر اللامبالاة تنهار الضوابط التفاعلية وتنتشر الممارسات البيئية السلبية، لأن الفرد لا يجد في محيطه التفاعلي ما يدفعه لمراجعة سلوكه أو الخروج عن النمط السائد.

وتُضيف إجابة المبحوث التاسع حول الرقابة الاجتماعية تحليل إضافي إذ يرى أن "غياب الرقابة الاجتماعية جعل هذا السلوك عاديًا في بعض الأماكن"، مما يشير إلى أن التكيف ليس ظاهرة موجودة في الفضاءات كلها، بل هو مرتبط بدرجة حضور الرقابة أو غيابها في كل فضاء، فنظافة المسجد تستمر رغم غيابها في الشارع المحاذي له، لأن الأول يحتفظ بنظام رمزي وتفاعلي يُرهَب من الإخلال به، وهو ما يؤكده تحليل دوغلاس حين تربط بين النظافة وانتماء الشيء إلى نظامه الرمزي والاجتماعي المناسب (Douglas, 2001, p2).

ثانيًا: التقليد والمحاكاة بوصفهما آليتين لانتشار الممارسة

تتجاوز إعادة إنتاج الممارسات الاعتيادية الاستهلاك السلبي للفضاء لتبلغ مرحلة التمثل التدريجي عبر التقليد والمحاكاة، وقد أبدى المبحوثون وعيًا لافتًا بهاتين الآليتين في إجاباتهم، فالمبحوث الأول يؤكد أن "الفرد يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه"، والمبحوث الثاني يلاحظ أنه "عندما يرى الناس الشارع متسخًا يرمون فيه بسهولة"، والمبحوث الخامس يختصر المسألة بقوله إن "الفرد يتبع ما يفعله الآخرون" وتكتسب هذه الإجابات دلالتها الكاملة حين ندرك أن التقليد في هذا السياق ليس اختيارًا واعيًا بل هو استجابة لضغط رمزي يمارسه الفضاء والمحيط الاجتماعي على الفرد.

وتتضح آلية التقليد بصورة أشد حدةً فيما يتعلق بالأطفال تحديدًا، إذ يُجمع المبحوثون على أن "الأطفال يقلّدون سلوك الكبار في رمي النفايات". يقول المبحوث الثاني: "عندما يرى الطفل الكبار يرمون النفايات يفعل مثلهم"، والمبحوث الرابع يشير إلى أن "الأطفال يكتسبون السلوك من المحيط"، والمبحوث السابع يرى أن "التقليد من أهم أسباب انتشار السلوك"، وهذا التقليد الطفولي ليس محصورًا في البُعد البيئي فحسب، بل هو تجسيد لحقيقة أنثروبولوجية أعمق مفادها أن الطفل يُعيد إنتاج المجتمع كما يصنعه المجتمع هو نفسه، وهذا ما طرحته لشلاش في دراستها من أن "النفايات التي تنتشر في الأماكن العامة هي الناتجة عن أفعال اعتيادية نمارسها بدون وعي وأحيانًا يكون دافعنا هو التقليد من مبدأ الاقتداء بما تفعله أغلبية أفراد المجتمع" (لشلاش، 2012، ص55).

أما الجانب الأكثر دلالة في هذه الديناميكية هو أن التقليد لا يتحرك وفق آلية الانتقاء بين نماذج متنافسة، بل يتجه نحو المسار الأقل مقاومة في ظل غياب نموذج مضاد واضح وفعّال، ففي الفضاءات التي تطغى فيها الممارسات السلبية يصبح الامتثال لها أقل كلفةً اجتماعيةً من الخروج عليها، لأن الخروج يستلزم تبريرًا ضمنيًا لمن حول الفرد، في حين أن الامتثال يمر دون أن يُلاحظ.

ثالثًا: تأثير الفضاء الحضري في إعادة إنتاج السلوك

تعكس إجابات المبحوثين وعيًا نسبيًا بتأثير الخصائص المادية للفضاء الحضري في توجيه السلوكيات الاعتيادية وترسيخها ضمن الممارسة اليومية، وهو وعي يتجاوز مجرد الشكوى من غياب الحاويات ليمس البُعد الرمزي لمؤشرات الفضاء، فالمبحوث الأول يرصد أن الناس "يتصرفون باختلاف حسب أسلوب الحي ونمطه إذا كان نظيفًا أو مهملًا"، والمبحوث السابع يذهب أبعد حين يقر أن "الشخص القاطن في حي نظيف لا يمكنه أن يرمي عشوائيًا لأن عقله مبرمج على النظافة"، والمبحوث الرابع يؤكد أن "التنظيم والنظافة يفرضان نوعًا من الانضباط".

وفي المقابل يرسم المبحوثون صورةً معاكسة للفضاء المهمل بوصفه محرِّضًا على الإهمال، فالمبحوث الثاني يلاحظ أنه "عندما يرى الناس الشارع متسخًا يرمون فيه بسهولة"، والمبحوث السابع يؤكد أن "الأحياء المهملة تنتج سلوكيات مهملة"، والمبحوث التاسع يشير إلى أن "الفضاء الحضري يضبط تصرف الفرد بطريقة غير مباشرة"، وهذه الشهادات الميدانية تجسّد ما أسماه فيشر "تأثير النافذة المكسورة"، أي أن الفضاء المتدهور يرسل إشارات رمزية ضمنية توحي بأنه فضاء مُهمل لا صاحب له وأن ما يُلقى فيه لن يلاحظه أحد، وهو ما تقاطع مع ما طرحه فيشر من أن "الخصائص المادية في الفضاء تؤثر مباشرة في طريقة تصرف الأفراد داخله، وأن الحاويات المكسورة وغير الكافية لا تمثّل مجرد قصور في الخدمات بل هي رسالة رمزية ضمنية توحي بأن هذا الفضاء مهمل ومتروك مما يجعل سلوك الإهمال ورمي النفايات أمام الحاويات يبدو مقبولًا ضمن اللاواعي الجمعي" (Fischer, 1992, p6).

ويكتمل هذا التحليل حين ندرك أن إعادة الإنتاج عبر الفضاء تعمل وفق منطق تعزيز ذاتي دائري: الفضاء المهمل ينتج سلوكًا مهملًا، والسلوك المهمل يزيد الفضاء إهمالًا، وهكذا تتعمّق الحلقة ويصعب كسرها دون تدخل خارجي يُعيد إنتاج الفضاء بوصفه فضاءً يستحق الاعتناء، على نحو ما أكده بوروح من أن "العلاقة بين الفرد وبيئته علاقة متبادلة التأثير" (بوروح، 2021، ص140).

خاتمة:

يكشف هذا المبحث في نهاية المطاف أن إعادة إنتاج الممارسات البيئية السلبية تعمل وفق منطق دائري يُعزّز ذاته: الفضاء المهمل يُنتج سلوكاً مهملاً، والسلوك المهمل يُعمّق إهمال الفضاء، والتقليد الاجتماعي يوسّع دائرة هذا النمط من فرد إلى آخر ومن جيل إلى جيل. وكسر هذه الحلقة لا يتأتّى بالتوعية الفردية وحدها بل بتدخل متزامن في الفضاء والتنشئة والرقابة الاجتماعية معاً.

المبحث الثالث: أثر التنشئة الاجتماعية في تشكيل السلوك البيئي

تمهيد:

يكشف هذا المحور عن الكيفية التي تُنتج بها المؤسسات الاجتماعية الكبرى كالأسرة والمدرسة والمجتمع المحلي منظومة من المواقف والقيم والاستعدادات التي تحدد في نهاية المطاف طبيعة علاقة الفرد ببيئته الحضرية، وما يمنح هذا المحور أهمية أنثروبولوجية هو أن التنشئة البيئية لا تنقل معلومات مجردة بل تُنتج أنماطًا جسدية وعاطفية ورمزية راسخة تظل تعمل في المستوى اللاواعي، وقد بُني هذا المحور على ثلاثة أقطاب تنشيئية مترابطة ومتتابعة: الأسرة بوصفها المؤسسة المؤثرة أكثر، ثم المدرسة بوصفها المؤسسة الثانية، ثم الفجوة البنيوية القائمة بين الخطاب والممارسة.

أولاً: الأسرة مؤسسةً تنشيئية أولى

تحتل الأسرة موقع الصدارة في إجابات المبحوثين حين يتعلق الأمر بتأصيل السلوك البيئي في شخصية الفرد، وتتكرر الإشارة إليها في سياقات متعددة تُجمع على أنها المختبر الاجتماعي الأول الذي يحدد طبيعة العلاقة بالنظافة والفضاء المشترك، فيقر المبحوث الأول أن "والديه كانا يوصيانه بعدم رمي النفايات في الأماكن العامة أو في غير مكانها"، والمبحوث الثاني يشير إلى أن "أهله أوصوهم منذ الصغر بالتحلي بأخلاق حميدة التي أوصى بها الإسلام والنظافة هي أحدها"، والمبحوث الثالث يتذكر أن "أهله ربّوه على نظافة البدن والمكان والثياب منذ الصغر".

والملاحظ أن التنشئة الأسرية في معظم هذه الحالات لم تكن مجردة عن السياق الثقافي الأعمق، بل جاءت مشبّعة بالمرجعية الدينية التي تمنح النظافة بُعدا قيميًا يتجاوز الوظيفة الصحية، وهذا الترابط بين النظافة والقيمة الدينية يُنتج عند الفرد إحساسًا بأن السلوك البيئي السليم ليس مجرد التزام مدني بل هو تعبير عن هوية أخلاقية ودينية، وقد أفصحت عن هذا البُعد إجابة المبحوث الخامس الذي صرّح بأن "أهله كانوا صارمين معهم في المحافظة على نظافة المكان وليس فقط المنزل"، مبرزًا بذلك نموذجًا تنشيئيًا امتدت فيه المسؤولية لتشمل الفضاء الخارجي، وهو نموذج أقل شيوعًا مما يشير إليه التفاوت في المواقف الميدانية.

في المقابل تكشف إجابات بعض المبحوثين عن نماذج تنشيئية أسرية قاصرة، فالمبحوث السابع يقرّ بصراحة أن "أهله كانوا فقط يوصونه بالحفاظ على نظافة المنزل، ولم يهتموا بما يفعله في الشارع"، وهذا القصور التنشيئي يخلق فجوةً رمزية بين عالمي الخاص والعام في وعي الفرد، وهو ما تفسّره لشلاش بالقول إن "النظافة سلوك مكتسب نتعلّمه نتيجة للتربية التي ننشأ ونتربى عليها" (لشلاش، 2012، ص38)، مما يعني أن غياب

التنشئة البيئية الممتدة للفضاء العمومي في بعض الأسر ينتج أفرادًا يحملون قيمة النظافة في حيّزها الخاص لكنهم يفتقرون إلى آليات تفعيلها في الحيّز العام.

ثانيًا: المدرسة بين الأدوار المنتظرة والواقع العملي

لا تقف التنشئة البيئية عند حدود الأسرة، بل تمتد لتشمل المؤسسة المدرسية بوصفها حلقةً ثانية لا غنى عنها في إنتاج الفاعل الاجتماعي البيئي، وقد أبدى المبحوثون اتفاقًا واضحًا حول أن للمدرسة دورًا في نشر الثقافة البيئية، غير أن هذا الاتفاق النظري لا يُخفي ترددا في مدى ترجمته إلى واقع فعلي، يقول المبحوث الأول إن المدرسة يمكنها أن تغيّر السلوك "من خلال التوعية والنشاطات المدرسية"، والمبحوث الثاني يرى أنها "تعلّم الأطفال احترام المحيط"، والمبحوث التاسع يؤكد أنها "عنصر أساسي في نشر الوعي البيئي".

غير أن المبحوثين حين يُسألون عن الواقع الفعلي لحملات التوعية البيئية في الحي أو المدرسة تنكسر الصورة المثالية، فالمبحوث الأول يقرّ بأنها "توجد أحيانًا لكنها غير كافية"، والمبحوث الثاني يلاحظ أنه "نادرًا ما نرى حملات توعية مستمرة"، والمبحوث السابع يذهب إلى أن "الحملات المؤقتة لا تكفي لتغيير السلوك"، وهذه الفجوة الفعلية تجسّد ما أشارت إليه لشلاش في دراستها من أن "غياب المؤسسة التنشيئية الفاعلة كالمدرسة والجمعيات والإعلام في تكريس قيم النظافة العمومية يعمّق الفجوة بين الوعي النظري والممارسة الفعلية" (لشلاش، 2012، ص38).

ومما يزيد المسألة تعقيدًا أن المبحوث الخامس يطالب بـ"إدراج مواضيع البيئة داخل البرامج التعليمية"، وهو طلب يكشف عن أن التربية البيئية لا تحتل مكانة راسخة في المنظومة التعليمية الرسمية، بل تظل هامشية مرتبطة بنشاطات موسمية عرضية لا بمحتوى مدروس ومتواصل، وهذا الغياب البنيوي في المؤسسة التعليمية و يمكن تفسير ذلك جزئيا بامتلاك الأفراد قدرا من المعرفة بالمبادئ البيئية دون أن تتحول هذه المعرفة إلى استعدادات سلوكية راسخة في تعاملهم مع الفضاء العمومي.

ثالثًا: الفجوة بين الخطاب البيئي والممارسة الفعلية

يكشف التحليل الأنثروبولوجي لإجابات المبحوثين عن ظاهرةً مركزية وهي التناقض بين ما يعبر عنه الأفراد من قيم بيئية إيجابية وما يمارسونه فعلًا في الفضاء الحضري، فالمبحوثون يؤكدون على قيمة النظافة وضرورتها، ويستندون في ذلك إلى مرجعيات دينية وأخلاقية راسخة، ثم يعترفون في الوقت ذاته بأنهم يرمون النفايات في الشارع أو يغضون الطرف عمن يفعل ذلك، والمبحوث التاسع يجسد هذا التناقض حين يقر بأنه رمى نفايات عدة مرات في الشارع، في حين يعبّر في موضع آخر عن إدراكه لكون هذا السلوك "غير حضاري".

وتقدّم نظرية الهابيتوس لبورديو مفتاحًا تفسيريًا لهذه الظاهرة، إذ تبيّن أن التنشئة الاجتماعية لا تُنتج وعيًا نقديًا فحسب بل تُنتج أيضًا استعدادات جسدية وعاطفية تعمل على مستوى أعمق من الوعي المُعلَن، فالفرد الذي نشأ في وسط يُطبّع رمي النفايات في الشارع يحمل استعدادًا جسديًا لهذا الفعل يتجاوز كل ما قد يُعلنه من قيم، وهو ما يشير إليه دناقة في تفسيره للهابيتوس بأنه "نسق من الاستعدادات الدائمة والقابلة للتطور والتحول يعمل بشكل لا إرادي على استدعاء الخبرات السابقة لإنجاز مهام متنوعة" (لوبك، 2002، ص184).

وتضيف إجابة المبحوث التاسع حين يصف بعض تصرفاته بـ"نوع من التمرد" على منظومة خدمات مترددية إطار تفسيري مختلف، حيث تبيّن أن الفجوة بين الخطاب والممارسة قد لا تُفسَّر دائمًا بقصور في التنشئة، بل ببُعد سياسي احتجاجي يحوّل الممارسة السلبية إلى موقف من الدولة وخدماتها، وهو تناقض أنثروبولوجي بالغ الدلالة يكشف أن التنشئة الاجتماعية لا تشتغل في فراغ بل في حقل اجتماعي متحرك تتقاطع فيه عوامل متعددة تعيد في كل مرة تشكيل معادلة الوعي والفعل.

خاتمة:

يتضح مما كشفه هذا المبحث أن الفجوة بين الخطاب البيئي الإيجابي والممارسة السلبية ليست مجرد تناقض فردي بل هي نتاج خلل بنيوي في منظومة التنشئة الاجتماعية برمّتها، فالأسرة لا تُوسّع دائماً دائرة المسؤولية لتشمل الفضاء العام، والمدرسة لا تملأ هذا الفراغ التنشيئي بما يكفي، مما يُبقي الفرد حاملاً لقيم النظافة في الوعي دون أن تتحوّل إلى استعداد سلوكي راسخ في تعامله مع الفضاء المشترك.

المبحث الرابع: الهابيتوس الحضري وإعادة إنتاج الممارسة البيئية

تمهيد:

يمثل هذا المحور البعد التحليلي الأهم في مجمل الدراسة الميدانية ، إذ يُتيح استثمار مفهوم الهابيتوس لبورديو بكل ما يتسم به من ثراء نظري في قراءة الكيفية التي تتجذّر بها الممارسات البيئية الحضرية في بنية الفرد الداخلية وتغدو جزءًا عضويًا من طريقته في الوجود داخل المدينة، والهابيتوس في هذا السياق ليس مفهومًا مجردًا بل هو الاسم الأنثروبولوجي لشيء يحضر بكثافة في إجابات المبحوثين دون أن يسمّيه أحدهم: ذلك الثقل اللاواعي الذي يجعل الفرد يتصرف على نحو معين في الفضاء الحضري دون أن يحاسب نفسه في كل مرة، ينقسم هذا المحور على ثلاثة عناوين تتناول الهابيتوس بوصفه استعدادًا مستدخلًا، ثم علاقته الجدلية بالفضاء الحضري، ثم إمكانية تحوّله وإعادة تشكيله.

أولاً: الهابيتوس بوصفه استعدادًا جسديًا ورمزيًا مستدخلًا

قبل الخوض في تحليل الهابيتوس الحضري لا بد من تعريفه، فالهابيتوس عند بورديو هو "ذلك التراث الثقافي المتوارث أو المكتسب عبر طرق التنشئة الاجتماعية، وهو ما يقصد به تلك التكيفات التي يجب أن يقوم بها الفرد اتجاه زملائه من أفراد جماعته ابتداءً من أسرته ليشمل في النهاية تجمعات من أنواع شتى، وهي التكيفات ذات الأهمية في جعله ذا وظيفة كاملة في المجتمع. يتلقاها الفرد وسط الأسرة التي تُعدّ الوحدة الأولى من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فهي تساعد على حفظ الجنس البشري وتؤمن للأفراد شروط الاستمرار في الحياة وتمنحهم الاستمرار المعنوي، وهي التي تحمل قيمة وتُعدّ رأسمالاً عائلياً متوارثاً يجعل أصحابها يحظون بالتقدير من طرف الغير باعتبارهم يملكون ثقافة مشتركة ونظاماً موحداً من القيم والعادات والمعتقدات والرموز يَنتُج عنه الشعور بالانتماء ويمنحهم التميز والخصوصية."

وحين نُسقط هذا المفهوم على موضوع دراستنا يتضح أن الهابيتوس الحضري البيئي هو منظومة الاستعدادات التي اكتسبها الفرد الوهراني عبر تنشئته الأسرية والاجتماعية الأولى في تعامله مع الفضاء المشترك، سواء أكان ذلك استعداداً نحو المحافظة على نظافة الشارع أم نحو إهماله. فالفرد الذي نشأ في أسرة تُوسّع دائرة المسؤولية لتشمل الفضاء العمومي يحمل معه هابيتوساً يجعل احترام الشارع فعلاً آلياً طبيعياً لا يستدعي تفكيراً، في حين أن الفرد الذي اقتصرت تنشئته على حدود المنزل يجد نفسه في الفضاء العام بلا استعداد داخلي يوجّهه نحو المسؤولية الجماعية. وهذا ما يفسّر لماذا لا يكفي الوعي المعرفي وحده لتغيير السلوك البيئي، لأن ما يحكم الفعل في اللحظة الآنية ليس ما يعرفه الفرد بل ما استدخله منذ طفولته.

تكشف إجابات المبحوثين عن حضور قوي لما يمكن تسميته بـ"الاستعداد المستدخَل" أي تلك الميول الراسخة التي تجعل الفرد يتصرف على نحو معين في الفضاء العمومي دون أن يُجري في كل مرة محاسبة عقلية واعية لقراره، وأبرز ما يكشف عن هذا الاستعداد هو الإجابات المتعلقة بالتعامل مع النفايات حين تغيب الحاوية، فالمبحوث الأول يقول بصورة تلقائية إنه "يحتفظ بها حتى يجد حاوية"، والمبحوث السادس يشير إلى أنه "يضعها في حقيبته أو كيس ويحملها حتى يجد سلة أو حاوية"، والمبحوث الرابع يؤكد أنه "يتركها في السيارة ولا يرميها في مكان عام". هذه الاستجابات الآلية التي لا تستدعي تفكيرًا واعيًا مطوّلًا تجسّد ما وصفه دناقة من أن الهابيتوس "يعمل بشكل لا إرادي على استدعاء الخبرات السابقة لإنجاز مهام متنوعة" (لوبك، 2002، ص184)، إذ إن الفرد الذي نشأ في وسط يُرسّخ احترام الفضاء العمومي لا يحتاج إلى إعادة بناء قرار في كل موقف بل يمتلك استعدادًا داخليًا جاهزًا يوجّهه.

وفي المقابل يكشف هابيتوس آخر عن وجهه حين يقرّ المبحوث التاسع بأنه "اعتاد رمي النفايات كالأغلفة الصغيرة، في الشارع من قبل"، أو حين يشير المبحوث الثالث إلى أنه حين لا تتوفر حاوية "يرميها في مكان توجد فيه النفايات حيث يرمي السكان نفاياتهم". هذا السلوك الأخير بالذات بالغ الدلالة الأنثروبولوجية، إذ حين يتوجه الفرد تلقائيًا إلى المكان الذي يرمي فيه السكان نفاياتهم فإنه يعيد تأكيد "خارطة الفضاء" التي استدخلها، أي الفضاء المرخَص للإلقاء مقابل الفضاء المحمي، وهي خارطة لا وعي بها لكنها تشتغل بفاعلية كاملة.

ومما يعمّق فهم الهابيتوس الحضري أن المبحوث السابع يقدّم وصفًا شبه نظري حين يقرر أن "عقل القاطن في حي نظيف مبرمج على النظافة"، و هذا التعبير العفوي يصف ببساطة آلية تشكّل الهابيتوس، أي أن الفضاء الذي يعيش فيه الفرد يُعيد ضبط استعداداته الداخلية بصورة تجعل سلوكه المنسجم مع هذا الفضاء يبدو طبيعيًا وعفويًا لا محاسَبًا.

ثانيًا: العلاقة الجدلية للهابيتوس بالفضاء

يبرز في هذا العنوان علاقة جدلية بين الهابيتوس بوصفه بنيةً داخليةً للفرد وبين الفضاء الحضري بوصفه حقلًا خارجيًا يُعيد تفعيل هذه البنية أو تعطيلها، وقد كشفت إجابات المبحوثين عن هذه العلاقة الجدلية بصورة متكررة ومتنوعة، فالمبحوث التاسع يقرّ أن "الفضاء الحضري يضبط تصرف الفرد بطريقة غير مباشرة"، والمبحوث الخامس يلاحظ أن "الفرد يتكيف مع نمط الحي الذي يعيش فيه"، والمبحوث الرابع يؤكد أن "التنظيم والنظافة يفرضان نوعًا من الانضباط".

وما يعمّق هذه الصورة أن المبحوثين يصرحون بوجود تباين سلوكي واضح بين الأحياء النظيفة والأحياء المهملة، ليس فحسب بين سكان مختلفين بل أحيانًا عند نفس الفرد حين ينتقل من فضاء إلى آخر يقول المبحوث الأول: "لاحظت أن الناس يتصرفون باختلاف حسب أسلوب الحي ونمطه إذا كان نظيفًا أو مهملًا"، والمبحوث الثامن يشير إلى أن "الأحياء النظيفة تشجع السكان على المحافظة عليها"، وهذا التأثير المتبادل بين الفضاء والسلوك يجسّد ما طرحه فيشر من أن "البيئة المادية محدد أساسي للسلوك، إذ يبيّن أهمية ودور عوامل بيئية متعددة كالتجهيزات والضجيج والكثافة على السلوك الإنساني وجودة الحياة، فهذه الخصائص المادية في الفضاء تؤثر مباشرة في طريقة تصرف الأفراد داخله" (Fischer, 1981, p27).

وتتجلى هذه العلاقة في الإجابات المتعلقة بالفضاءات ذات الطابع الخاص كالمسجد أو الحي الراقي، حيث تفرض هذه الفضاءات على الفرد إعادة تفعيل هابيتوس إيجابي كان ربما يكمن تحت ضغط الفضاءات المهملة، وهذا ما يشير إليه المبحوث الثامن الذي يقرّ بأنه يسكن في "حي راقٍ ومعروف، لذلك فإن عمال النظافة والبلدية يحرصون دائمًا على نظافة الحي، وحتى الأفراد يهتمون بنظافته"، كاشفًا بذلك عن آلية التعزيز المتبادل بين الفضاء والسلوك التي تجعل الهابيتوس الإيجابي يتجدد ويتجذّر في الفضاء المُلائم، وهو ما يتقاطع مع ما أكده بوروح من أن "نمط البيئة ينعكس بالدرجة الأولى على سلوكيات وأفعال قاطنيها" (بوروح، 2021، ص140).

ثالثًا: إمكانية تحوّل الهابيتوس ومسارات إعادة تشكيله

تنتهي مقاربتنا الأنثروبولوجية لهذا المحور بطرح تساؤل حول قابلية تحوّل الهابيتوس الحضري، إذ لا تكتفي الدراسة الميدانية برسم صورة سلبية ثابتة، بل تبرز ديناميات تحول فعلية قابلة للتعميق والاستثمار، فالمبحوث التاسع يقرّ أنه "بدأ يغير سلوكه لأنه بدأ يستوعب أنه سلوك غير حضاري ويخالف الأخلاق، فقد بدأ يعوّد نفسه على ترك الغلاف في يده إلى حين يجد سلة مهملات"، وهذه الفكرة التحولية تمثلت عند بورديو في مصطلح "التعلّم الناقد" وهو ما يدفع الفرد إلى إعادة وضع الهابيتوس الخاص به موضع مساءلة، وإلى إعادة تشكيله وفق تجارب ووعي جديد.

و يرى المبحوث الثامن أن سلوك الاحتفاظ بالنفاية حتى يجد حاوية "يعكس شخصية الفرد"، مما يُضفي على الممارسة الإيجابية بُعدً هوياتي يجعلها أكثر مقاومةً للتفكك تحت ضغط الفضاء السلبي المحيط، والمبحوث الثالث يشير إلى أن الحل يكمن في "تغيير عقلية المجتمع اتجاه الفضاء العام"، وهو تعبير عفوي عن الحاجة إلى تحول جماعي في الهابيتوس لا تغيير فردي معزول.

وقد كشفت الإجابات عن شرطين أساسيين يُمثّلان مدخلًا ضروريًا لبدء تحوّل الهابيتوس.: أولهما وعي نقدي بالممارسة القائمة، وثانيهما فضاء حضري يبعث إشارات رمزية جديدة تُوفّر للفرد مرجعًا لإعادة التكييف.

وهذا يؤكد ما ذهب إليه بوروح من أن "الإنسان يؤثر في البيئة التي يعيش فيها عن طريق سلوكياته وأفعاله اتجاهها، إذ يمكن أن يتحكم أو يغير من نمط البيئة أو الوسط الذي يعيش فيه ويتفاعل معه، وبطبيعة الحال إن كانت السلوكيات الفردية إيجابية بالدرجة الأولى يمكن له أن يخلق ويشكّل بيئة حضارية متقدمة ومتطورة" (بوروح، 2021، ص150–151)، هذا ما يجعل إعادة تهيئة الفضاء الحضري شرطًا تأسيسيًا لإطلاق هابيتوس جديد لا يكتفي بتوعية الفرد بل يضع في يده فضاءً يستحق حمايته.

خاتمة:

أثبت هذا المبحث أن الهابيتوس الحضري هو الحلقة التي تربط كل ما سبق، فهو المستودع الداخلي الذي يختزن الإرث التنشيئي ويُترجمه إلى سلوك آلي في الفضاء العمومي. غير أن البشارة الإيجابية التي يُقدّمها هذا المبحث هي أن الهابيتوس ليس قدراً ثابتاً بل هو قابل للتحوّل، وأن الطريق إلى هذا التحوّل يمرّ عبر مزدوجة لا غنى عنها: وعي نقدي ذاتي من جهة، وفضاء حضري مُهيَّأ يستحق الانتماء من جهة أخرى.

الاستنتاج:

أظهرت نتائج هذه الدراسة أن ظاهرة رمي النفايات في الفضاءات الحضرية بمدينة وهران ليست سلوكاً فردياً بسيطاً يمكن تفسيره بسبب واحد فقط، بل هي ظاهرة اجتماعية وثقافية معقدة تتداخل فيها عدة عوامل مرتبطة بالفرد وبالمحيط الذي يعيش فيه وبالعلاقات الاجتماعية التي تربطه بالآخرين. وقد ساعدت الأطر النظرية المعتمدة في هذه الدراسة على فهم هذه الظاهرة من زوايا مختلفة ومتكاملة، حيث بيّنت أن السلوك البيئي يتشكل من خلال تفاعل ثلاثة عناصر أساسية: خصائص الفضاء الحضري وما يرسله من رسائل ومعانٍ للسكان، وطبيعة التفاعلات الاجتماعية والمعايير السائدة داخل المجتمع، إضافة إلى العادات والتصورات والقيم التي يكتسبها الأفراد عبر مسار تنشئتهم الاجتماعية، كما كشفت الدراسة أن أغلب المبحوثين يمتلكون معرفة جيدة بأهمية المحافظة على نظافة المحيط وبالأضرار الناتجة عن رمي النفايات في الأماكن العامة، إلا أن هذه المعرفة وحدها لم تكن كافية لتوجيه سلوكهم اليومي. فالمشكلة لا تكمن في نقص الوعي البيئي بقدر ما ترتبط بضعف الشعور بالانتماء إلى الفضاء العام والمسؤولية تجاهه. فالعديد من الأفراد يتعاملون مع الشارع أو الساحة العمومية باعتبارها فضاءً لا يخصهم بشكل مباشر، الأمر الذي يجعل المحافظة عليه أقل أهمية مقارنة بالمجالات الخاصة مثل المنزل أو مكان العمل.

ومن منظور أنثروبولوجي، تُظهر هذه النتيجة أن علاقة الإنسان بفضائه الحضري ليست علاقة مادية فقط، بل هي علاقة رمزية واجتماعية تقوم على الإحساس بالانتماء والملكية المعنوية للمكان. فكلما شعر الفرد بأن الفضاء جزء من هويته الجماعية وحياته اليومية، زاد حرصه على المحافظة عليه والعناية به. أما عندما يضعف هذا الشعور، فإن الممارسات السلبية تصبح أكثر انتشاراً حتى وإن كان الأفراد مدركين لخطورتها.

وعليه، تبرز أهمية الانتقال من المقاربات التي تركز فقط على التوعية والتحسيس إلى مقاربات أشمل تهدف إلى تعزيز علاقة السكان بفضاءاتهم الحضرية وتنمية الشعور بالمسؤولية الجماعية تجاهها. فمواجهة ظاهرة رمي النفايات لا تتطلب توفير الحاويات وفرض العقوبات فحسب، بل تستدعي أيضاً بناء ثقافة حضرية تقوم على احترام الفضاء العام واعتباره ملكاً مشتركاً لجميع أفراد المجتمع. ومن هذا المنطلق، تسهم هذه الدراسة في إبراز أهمية البعد الاجتماعي والثقافي في فهم السلوك البيئي، وتؤكد أن تحسين الواقع البيئي للمدينة يمرّ عبر تعزيز قيم المواطنة والانتماء والمسؤولية المشتركة تجاه الفضاء الحضري.

الخاتمة:

نعرض في نهاية هذه الدراسة النتائج العامة التي توصلنا إليها من خلال البحث والتنقيب حول الممارسات البيئية المرتبطة بسلوك رمي النفايات في الفضاء الحضري بمدينة وهران، منطلقين من إشكالية محورية تساءلت عن الكيفية التي تتشكل بها هذه الممارسات وعن الخلفيات الاجتماعية والثقافية التي تفسر التباين بين نموذج المدينة المتحضرة كما ينبغي أن تكون والواقع الحضري كما يُمارس فعلياً، خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

تبيّن أن مدينة وهران شهدت موجات متتالية من التحضر المتسارع وغير المنظم، أنتجت فجوة واسعة بين السكان وفضاءاتهم العمومية، إذ لم ترافق هذه التحولات الديموغرافية تحولات ثقافية موازية، مما أفرز أجيالاً تحمل قيم الريف في علاقتها بالمحيط وتجد نفسها في فضاء حضري لا تشعر بالانتماء إليه ولا بالمسؤولية اتجاهه.

تأكد أن الفضاء الحضري في وهران ليس وعاءً محايداً تجري فيه الممارسات البيئية، بل هو فاعل رمزي ومادي يُنتج السلوك ويُعيد إنتاجه، فالأحياء المهملة التي تقل فيها الحاويات وتتراكم فيها النفايات لا تعكس سلوكاً سلبياً فحسب بل تُعيد إنتاجه عبر ما أسماه فيشر "تأثير النافذة المكسورة"، إذ ترسل هذه الفضاءات إشارات رمزية ضمنية توحي بأنها مهملة ومتروكة، فيتكيف سلوك الفرد مع هذه الرسالة لا بقرار واعٍ بل بضغط ثقافي تراكم عبر الزمن.

كشفت الدراسة الميدانية أن الفرد لا يتصرف بالطريقة ذاتها في كل الفضاءات، بل يكيّف سلوكه البيئي وفق الإشارات الرمزية التي يبعثها الفضاء المحيط به، فالشخص الذي يحرص على نظافة منزله يرمي نفاياته في الشارع دون تردد، لأن المنظومة الرمزية التي يحملها تُضيّق دائرة مسؤوليته لتقتصر على ما يملكه أو ينتمي إليه مباشرة..

تبيّن أن السلوك البيئي الموروث من الأسرة والحي يمثل العامل الأساسي لتشكيل علاقة الفرد بالفضاء العمومي، فالأسر التي وسّعت تنشئتها لتشمل الفضاء الخارجي إلى جانب المنزل أنتجت أفراداً يحملون استعداداً راسخاً للحفاظ على الفضاء المشترك، في حين أن الأسر التي اقتصرت على نظافة البيت دون الشارع أنتجت فجوة رمزية بين الفضاءين يصعب، ويتجلى ذلك ميدانياً في اختلاف المواقف بين المبحوثين الذين تلقوا تنشئة أسرية صارمة تشمل الفضاء العام وأولئك الذين اقتصرت تنشئتهم على نظافة المنزل فقط.

كشفت الدراسة كذلك أن المدرسة رغم كونها المؤسسة التنشيئية الثانية تظل قاصرة عن إنتاج وعي بيئي فعلي، إذ تغيب التربية البيئية من المناهج الرسمية أو تظهر في شكل نشاطات موسمية عرضية لا تُحدث أثراً تنشيئياً حقيقياً، وهو ما أكده المبحوثون حين أشاروا إلى أن حملات التوعية نادرة وغير مستمرة ولا تكفي وحدها لتغيير سلوك متجذر في العادات والهابيتوس الثقافي.

تبيّن أن ظاهرة رمي النفايات لا تنتشر عبر قرار فردي واعٍ بل عبر آليات التقليد والمحاكاة، إذ حين يُصبح هذا السلوك نمطاً سائداً في فضاء معين يفقد وصمته الاجتماعية ويتحول إلى ممارسة اعتيادية لا يستنكرها أحد، وتنهار معها آليات الرقابة الاجتماعية غير الرسمية، وهذا ما لاحظناه ميدانياً في فضاء الواجهة البحرية حيث تتراكم النفايات أمام المقاهي المكتظة بالمرتادين دون أن يتدخل أحد أو يُبدي استنكاراً.

كما أثبتت الدراسة أن الأطفال يكتسبون السلوك البيئي من خلال مشاهدة الكبار وتقليدهم، مما يجعل هذا السلوك يتناقل عبر الأجيال بصورة آلية، فحين يرى الطفل والده يرمي النفاية في الشارع دون أن يواجه أي ردة فعل اجتماعية سلبية، يستدخل هذا السلوك ضمن هابيتوسه الثقافي كممارسة طبيعية ومقبولة، وتصبح إعادة إنتاجها لاحقاً أمراً تلقائياً لا يستدعي أي محاسبة ذاتية.

كشف البحث الميداني عن ظاهرة لافتة تتمثل في أن بعض الأفراد يُبرّرون إهمالهم للفضاء العام بوصفه نوعاً من التمرد على الدولة التي لا توفر خدمات النظافة الكافية، مما يكشف أن السلوك البيئي السلبي لا يُفسَّر دائماً بقصور التنشئة وحدها، بل يحمل في بعض حالاته بُعداً احتجاجياً ضمنياً يجعل الفرد يُحوّل إهماله للفضاء المشترك إلى موقف من المؤسسة وخدماتها المترددية.

تبيّن أخيراً أن ثمة إمكانية حقيقية لتحوّل الهابيتوس الحضري وإعادة تشكيله، إذ أشار بعض المبحوثين إلى أنهم بدأوا يُغيّرون سلوكهم بعد أن استوعبوا أنه سلوك لا يتوافق مع القيم التي يحملونها، وهذا يُثبت أن الوعي النقدي الذاتي متى اقترن بفضاء حضري يبعث إشارات إيجابية يمكن أن يُطلق ديناميكية تحوّل فعلية في الممارسات اليومية.

لقد انطلقت هذه الدراسة من فرضيتين مركزيتين سعت من خلال الإطار النظري والعمل الميداني إلى اختبار مدى صحتهما في ضوء المعطيات التي جمعتها من فضائيّ شارع العربي بن مهيدي والواجهة البحرية بوهران، وقد جاءت النتائج معمّقة لما افترضناه في بعض جوانبه ومعدّلة له في جوانب أخرى.

فيما يخص الفرضية الأولى التي مفادها أن الفرد يُشكّل سلوكاً بيئياً خاصاً به نتيجة تفاعله مع الفضاء الحضري وقوانينه الضمنية، فقد ثبتت صحتها بصورة واضحة من خلال ما كشفته المقابلات الميدانية، إذ أجمع المبحوثون على أن سلوكهم البيئي يتغير تبعاً للفضاء الذي يتواجدون فيه، فالشخص الذي يحتفظ بنفايته في الحي النظيف يرميها دون تردد في الحي المهمل، ليس لأن قناعاته تتبدّل بل لأن الفضاء ذاته يُرسل إشارات رمزية تُخبر الفرد بما هو مسموح به وما هو مرفوض، وقد تجلّت هذه الحقيقة ميدانياً في التباين الواضح بين فضاء الواجهة البحرية ذات الطابع السياحي والأحياء الشعبية المهملة، حيث تختلف درجة الالتزام البيئي اختلافاً ملحوظاً ليس دائماً بسبب اختلاف الأفراد بل بسبب اختلاف الفضاء وما يبعثه من إشارات، وهو ما يُؤكد أن الفضاء الحضري ليس ديكوراً محايداً بل هو محدد أساسي لسلوك قاطنيه كما أسس له فيشر نظرياً.

أما الفرضية الثانية المتعلقة بغياب الوعي البيئي الفردي والجماعي داخل الفضاءات العامة، فقد ثبتت بصورة جزئية وكشفت في الوقت ذاته عن تعقيد أعمق مما افترضناه في البداية، فقد تبيّن أن المشكلة الحقيقية ليست غياب الوعي المعرفي بأهمية النظافة، فأغلب المبحوثين يدركون جيداً أن رمي النفايات في الشارع سلوك مرفوض دينياً وأخلاقياً وصحياً، ويستندون في ذلك إلى مرجعيات إسلامية راسخة كالقول بأن "النظافة من الإيمان" غير أن هذا الوعي النظري لا يتحول تلقائياً إلى ممارسة فعلية لأن ما يغيب فعلاً ليس المعرفة بل الإحساس بالانتماء إلى الفضاء العمومي والشعور بالمسؤولية اتجاهه، فالفرد يعرف أن النظافة قيمة لكنه لا يشعر أن الشارع يخصّه بما يكفي لكي يتصرف فيه كما يتصرف في منزله، وهذا الفارق الجوهري بين وعي المعرفة ووعي الانتماء هو ما يفسر الفجوة المستمرة بين الخطاب البيئي الإيجابي والممارسة اليومية السلبية التي رصدناها في الميدان، ومن هنا يتضح أن حلول التوعية التقليدية وحدها لن تكفي ما لم تُرافقها جهود حقيقية لإعادة بناء الرابط الرمزي والعاطفي بين المواطن ومدينته.

لقد أثبتت هذه الدراسة أن الممارسات البيئية في الفضاء الحضري ظاهرة اجتماعية وثقافية مركبة لا يمكن فهمها ولا معالجتها بمعزل عن السياق الذي تنتج فيه، وأن أي مقاربة تسعى إلى تغيير هذه الممارسات لا بد أن تنطلق من فهم عميق للمنظومة الرمزية والتنشيئية التي تُشكّل علاقة الفرد بفضائه المشترك، بدلاً من الاكتفاء بالحلول التقنية أو الخطاب التوعوي الذي لا يمسّ جذور الظاهرة.

بناءً على ما كشفته هذه الدراسة من نتائج وما أثارته من تساؤلات جديدة، يُعمّق البحث في هذا الموضوع من زاوية مختلفة، إذ تبقى إشكالية محورية لم تتطرق إليها هذه الدراسة بشكل مباشر، وهي تنطلق مما توقفت عنده دراستنا، فبعد أن أثبتنا أن المشكلة ليست غياب الوعي المعرفي بل غياب الوعي الانتمائي بالفضاء العمومي، يبقى السؤال الأعمق مطروحا وهو من يبني هذا الانتماء ومن يغرسه وكيف يمكن إعادة إنتاجه في سياق حضري جزائري متغير، وهل إصلاح المؤسسات التنشيئية وحده كافٍ لغلق الفجوة بين القيمة والفعل أم أن المسألة تستدعي في جوهرها إعادة النظر في طريقة إنتاج الفضاء الحضري ذاته وعلاقة المواطن به؟

الملاحق

الملاحق:

1- دليل المقابلة:

البيانات الشخصية:

السن — الجنس — المستوى الدراسي — الحالة الاجتماعية — مكان الإقامة — المهنة

المحور الأول: الفضاء الحضري ورمي النفايات

منذ متى تقطن في وهران؟ وهل تشعر بالانتماء إليها؟

هل لاحظت أن الناس يتصرفون بشكل مختلف في الأحياء النظيفة عن الأحياء المهملة؟

هل ترى فرقاً بين الماضي والحاضر فيما يخص سلوك رمي النفايات في الفضاء العام؟

هل ترى أن الفضاء العام ملك للجميع أم فضاء لا أحد يهتم به؟ ولماذا؟

ما الأسباب التي تجعل بعض الأفراد لا يهتمون بالنظافة العامة؟

كيف يتعامل الناس في الحي مع الشخص الذي يرمي القمامة في الطريق؟

هل توجد عادات اجتماعية وثقافية تشجع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على سلوك رمي النفايات؟

المحور الثاني: الهابيتوس الحضري

هل النظافة عندك مرتبطة بالدين أم بالتربية أم بالعادات؟

هل سبق أن رميت نفايات في الشارع؟ وهل تعتبره أمراً عادياً ومتكرراً؟

كيف تتصرف مع النفايات حين لا تتوفر حاوية قريبة منك؟

كيف تفسر تصرف من يرمي النفايات أمام الحاوية دون أن يضعها فيها؟ وما رأيك فيمن يكسر الحاويات أو يخربها؟

هل ترى أن بعض السلوكيات السلبية أصبحت عادية داخل المدينة؟ كيف ذلك؟

هل يقلد الناس بعضهم البعض في طريقة التعامل مع الفضاء العام؟

كيف تؤثر البيئة الاجتماعية المحيطة على سلوك الفرد تجاه النظافة؟

كيف كانت ممارسة النظافة في الحي الذي نشأت فيه؟ وهل أثّر ذلك على تصرفاتك اليوم؟

المحور الثالث: التنشئة البيئية وانتشار الممارسات السلبية المرتبطة بالنفايات

ماذا علّمك أهلك وأنت صغير عن النظافة؟ وهل ينعكس ذلك على تصرفاتك اليوم؟

هل تعتقد أن عادات الطفولة تؤثر في السلوك البيئي للفرد عندما يكبر؟

هل ترى أن الأطفال يقلدون سلوك الكبار في رمي النفايات؟

هل ترى أن للمدرسة دوراً في نشر الثقافة البيئية؟ وكيف ذلك؟

إذا قال لك أحد إن وهران مدينة قذرة، هل تشعر بذلك كإهانة شخصية؟ ولماذا؟

هل ترى أن عمال النظافة يتحملون جزءاً من المسؤولية في تفاقم مشكلة النفايات؟

هل توجد حملات توعية بيئية في الحي أو المدرسة؟

هل ترى أن التربية البيئية يمكن تحسينها داخل المجتمع؟ وكيف؟

هل ترى أن بعض الأفراد يتصرفون بشكل مختلف في الفضاءات العامة عنهم في المنزل؟ ولماذا؟

في رأيك، هل يمكن تغيير هذه السلوكيات السلبية تجاه الفضاء العام؟ وما الذي يحتاج إلى التغيير أولاً؟

2- **الجدول السوسيو-غرافي:**

	السن	الجنس	الحالة الاجتماعية	الإقامة	المستوى الدراسي	المهنة
المبحوث 1	54	أنثى	متزوجة	وهران	ثانوي	ربة منزل
المبحوث 2	31	أنثى	متزوجة	مسيلة	ثانوي	صانعة حلويات
المبحوث 3	64	ذكر	متزوج	وهران	متوسط	مصلح أدوات كهرومنزلية
المبحوث 4	59	أنثى	متزوجة	وهران	ثانوي	ربة منزل
المبحوث 5	54	ذكر	متزوج	وهران	متوسط	عون أمن نيفطال
المبحوث 6	49	أنثى	متزوجة	وهران	جامعي	ربة منزل
المبحوث 7	25	ذكر	أعزب	وهران	جامعي	تاجر
المبحوث 8	22	ذكر	أعزب	وهران	جامعي	طالب
المبحوث 9	23	أنثى	عزباء	وهران	جامعي	طالبة

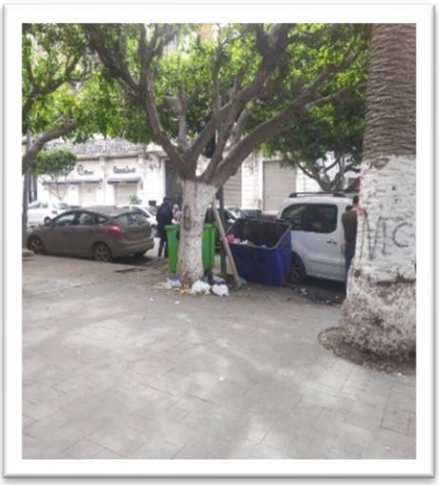
3-الصور:



صورة رقم 1



صورة رقم 2



صورة رقم 3



صورة رقم 4



صورة رقم 5



صورة رقم 6

صورة رقم 7



صورة رقم 8



صورة رقم 9



صورة رقم 10



اقْـرَأُ

نَظَـــافَةُ الْحَيِّ

إسْتَيْقَظَ فَرِيدٌ عَلَى صَوْتٍ ضَجِيجٍ فِي الْحَيِّ، فَأَطَلَّ مِنَ النَّافِذَةِ، وَقَالَ مُنْدَهِشًا : مَا أَكْثَرَ النَّاسَ فِي الشَّارِعِ! مَاذَا يَحْدُثُ يَا أَبِي ؟

الأَبُ : إِنَّهُ يَوْمُ البِيئَةِ، سَنُنَظِّفُ حَيَّنَا مِنَ الأَوْسَاخِ .

هَا قَدْ شَرَعَ المُتَطَوِّعُونَ فِي العَمَلِ : هَذَا فَرِيقٌ يُكَنِّسُ الشَّارِعَ، وَهُنَاكَ رِجَالٌ يُكَدِّسُونَ أَكْيَاسَ النِّفَايَاتِ فِي شَاحِنَةِ البَلَدِيَّةِ ، وَعَلَى الرَّصِيفِ أَطْفَالٌ يَغْرِسُونَ شُجَيْرَاتٍ.

هَمَّ الأَبُ بِالخُرُوجِ، فَقَالَ لِفَرِيدٍ : تَعَالَ يَا بُنَيَّ، هَيَّا نُشَارِكْ فِي حَمْلَةِ التَّنْظِيفِ .

تَحَمَّسَ فَرِيدٌ لِمَا شَاهَدَهُ ، وَقَالَ : يَجِبُ أَنْ أَمْنَعَ لافتات، وَأَضَعَهَا فِي الشَّارِعِ، لِأُذَكِّرَ السُّكَّانَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى نَظَافَةِ البِيئَةِ.

أَفْهَـمُ النَّـصَّ

- أَيْنَ تَدُورُ أَحْدَاثُ هَذَا النَّصِّ ؟
- أَذْكُرِ الأَعْمَالَ الَّتِي قَامَ بِهَا أَهْلُ الحَيِّ ؟
- بِمَاذَا شَارَكَ فَرِيدٌ فِي حَمْلَةِ التَّنْظِيفِ؟
- فِي رَأْيِكَ، مَاذَا سَيَكْتُبُ فِي اللافتات ؟

مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ

- النِّفَايَاتُ : إِرْمُوا النِّفَايَاتِ فِي سَلَّةِ المُهْمَلاتِ.
- لافتاتٌ : زَيَّنَتْ إِشَارَاتُ المُرُورِ فِي لافِتَاتٍ .

95

صورة رقم 11



المحَافَظَة عَلَى الأَسنَان: يَجب غَسل الأَسنَان يَوميًا ثَلَاثَ مَرَّات، وَغَسل الأَسنَان بَعدَ الأَكل عَامل ضَروريٌّ لتَجَنّب التَّسَوّس.

المحَافَظَة عَلَى نَظَافَة الأُذن وَالعَين.

تَسرِيح الشَّعر وَ المحَافَظَة عَلَى نَظَافَته.

نَظَـافَة المَنزل

أحَافظ عَلَى نَظَافَة سَريري وَغرفَتي وَ تَرتيب أَدَوَاتِي فَوقَ مَكتَبِي .

أحرص عَلَى المحَافَظَة عَلَى نَظَافَة المَنزل وَعَدَم رَمي القَاذورَات وَالأَورَاق والأَوسَاخ فيه.

نَـظَافَة المَدرَسَة

أَلتَـزم بالمحَافَظَة عَلَى تَرتيب ونَظَافَة الفَصل وَالسَّاحَة.

أحَافظ عَلَى نَظَافَة الطَّاولات وَالمَقَاعد والجدرَان.

أحَافظ عَلَى كتبي المَدرَسيَّة فَلَا أضَيّعها ولَا أتلفَها.

أَضع النِّفَايَات في سَلَة القمَامَة ولَا أَلقي بهَا أَرضا.

النظافة من الإيمان

كن نظيفا منظما تحظى سعيدا مكرما

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. الكتب:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). المقدمة. دار الكتب العلمية، بيروت.

2. أبو زيد، أحمد. (1987). محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية. دار النهضة العربية.

3. ريمون، أندري. (د.ت). المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، (ترجمة لطيف فرج). دار الفكر للدراسات.

4. رشوان، حسين عبد الحميد أحمد. (2013). المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضاري، (الطبعة السابعة).

5. عباس، إبراهيم محمد. (2009).التصنيع والمدن الجديدة: دراسة أنثروبولوجية لمدينة كيما بأسوان، دار المعرفة الجامعية، مصر.

6. عبد اللطيف، عقل. (1988).علم النفس الاجتماعي،(الطبعة الثانية). دار البيرق، عمان.

7. عكاشة، محمود، وشفيق، أحمد. (1998). السلوك الاجتماعي: قراءة في علم النفس الاجتماعي وتطبيقاته. دار برنت للطباعة والتصوير.

8. العتيق، أحمد. (2011). أثر السلوك البيئي على التصرفات اليومية: دراسة مقارنة بين الريف والحضر، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

9. الخواجة، محمد ياسر. (2008). علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي، (الطبعة الأولى). دار الإسراء للطباعة والنشر والتوزيع، طنطا، مصر.

10. الحمداني، موفق، وآخرون. (2006). مناهج البحث العلمي، (الطبعة الأولى). مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.

11. علي، عبد الرؤوف. (2019). شعب وميدان ومدينة: العمران والثورة والمجتمع. المركز الجامعي للأبحاث ودراسة السياسات، عمان، الأردن.

12. غيث، محمد عاطف. (1983). علم الاجتماع الحضري: مدخل نظري. دار النهضة العربية، بيروت.

13. معمر رتيب، محمد عبد الحافظ. (2008). المسؤولية الدولية عن نقل وتخزين النفايات الخطرة: دراسة تحليلية في إطار القانون الدولي للبيئة. دار الكتب، مصر.

14. ناظر حميد، بشير. (2014). دراسات في علم الاجتماع،(الطبعة الأولى). دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق.

2. المجلات والمقالات العلمية

1. أمقران، عبد الرزاق. (2007). الفضاء العمراني فضاء اجتماعي وثقافي: مقاربة منهجية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (16)

2.بوتشيشة، علي. (2018). مدينة وهران من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،عدد (19)

3. بوروح، عماد. (2021). نمط البيئة الحضرية وعلاقتها بتشكيل سلوك الفرد. مجلة إبراهيمي للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد (9).

4. دباب، زهية. (2021). قضايا ومفاهيم سوسيولوجيا التربية في فكر بورديو. مجلة دفاتر المخبر،مجلد 16 عدد(1)، جامعة بسكرة، الجزائر.

5. دناقة، أحمد. (2017). الممارسة الاجتماعية وكيفية تشكّل الفعل والبناء: مقارنة بين بورديو وغيدنز، قراءة تحليلية نقدية. مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، عدد (6).

6. رزيم، صدام. (2020). النظافة كممارسة حضارية بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية. مجلة العبارة للدراسات التاريخية والأثرية، مجلد 3 عدد(2).

7. زدوري، أسماء. (2024). دور السلوك البيئي للمؤسسات الاقتصادية في تحقيق متطلبات التنمية المستدامة، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، مجلد 7عدد (1).

8. سوالمية، نورية. (2018). المدينة والحضرية في الجزائر: مقاربة نظرية، مجلة آفاق لعلم الاجتماع ،عدد (15).

9. شربال، مصطفى، وبلعيور، الطاهر. (2018). الوعي الاجتماعي: المفاهيم والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع. *مجلة أبحاث نفسية وتربوية، مجلد 9 عدد (3)، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر.

10. الفاعوري، نائل إبراهيم علي. (2022). الخدمات العامة والنظافة البيئية والحضارية. المجلة العربية للنشر العلمي، الإصدار الخامس، عدد (50)

11. فاهم، حنان. (2024). الثقافة والممارسة الثقافية. مجلة دراسات إنسانية، مجلد 9 عدد(1).

12. غلاب، فاتح. (2023). تقسيم الممارسات البيئية والاجتماعية وحوكمة الشركات ESG لشركة LafargeHolcim. مجلة أبحاث اقتصادية، مجلد 17عدد(1).

13. لوبك، ج. د. فاكان. (2002). نحو علم ممارسة اجتماعية بنيوية: سوسيولوجيا بورديو ومنطقها (ترجمة أحمد حسان). مجلة فصول، عدد (60)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

14. مسعودي، أحمد، وشعلان، حسام الدين. (2022). استراتيجية تملّك الفضاءات العامة في الأحياء الحضرية الجديدة في الجزائر. مجلة رفوف، مجلد 10 عدد(2).

15. مهرية، خليدة. (2020). التربية البيئية والسلوك البيئي للمراهق. مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مجلد 9 عدد(1)،

16. ميهوب، نور الدين، ومالك، محمد. (د.ت). الوعي البيئي كمدخل لتعزيز سلوك المواطنة. مجلة التكامل، عدد (13) .

17. نور الدين، عبد الفتاح، ومبروكي، عمار. (2025). الفضاءات العامة الحضرية بين التعديات والتحولات الاجتماعية: مقاربة سوسيولوجية.

18. يعلى، فاروق. (2022). مشكلة التحضر في المدينة الجزائرية. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، مجلد 10 عدد(2).

3. المعاجم والقواميس

1. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.

2. الزمخشري، جار الله أبي القاسم. (1983). أساس البلاغة، (الجزء الثاني). دار الكتاب، القاهرة.

3. غيث، محمد عاطف. (1979). قاموس علم الاجتماع، (الطبعة الأولى). الهيئة العامة للكتابة، مصر.

4. مجمع اللغة العربية. (1998). المعجم الوجيز. مجمع اللغة العربية، القاهرة.

5. مجمع اللغة العربية. (2004). المعجم الوسيط (الطبعة الرابعة). مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

4. الرسائل الجامعية

1. بودبزة، الناصر، و شراد، محمد. (2015). ممارسة ثقافية بين الهوية الاجتماعية والمجال العمراني: دراسة ميدانية لبعض مناطق ولاية ورقلة،[مذكرة غير منشورة].

2. بوربيع، جمال. (2010). الكوارث الطبيعية والتضامن الاجتماعي: زلزال 21 ماي 2003 ببومرداس نموذجًا، [مذكرة ماجستير في علم اجتماع البيئة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر].

3. حجار خرفان، خير الدين. (2024). التسويق الاجتماعي ودوره في دعم السلوك البيئي لدى المتلقي: دراسة مسحية على عينة من متابعي الحملات الإعلامية البيئية، [أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، الجزائر].

4. حماش، خليفة. (2006). الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني [رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر].

5. دهيمي، جابر. (2019). آثار الممارسات البيئية على أداء المؤسسة الاقتصادية الجزائرية، [أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، سطيف 1، الجزائر].

6. ضاهر، حنان أحمد. (د.ت). السلوك البيئي في مرحلة المراهقة وعلاقته بالعجز المتعلم ومهنة المستقبل [مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا].

7. الشريف، عمر. (2007). استخدام الطاقة المتجددة ودورها في التنمية المحلية المستدامة: دراسة حالة الطاقة الشمسية في الجزائر، [أطروحة دكتوراه في اقتصاد التنمية، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر].

8. شاقلالة، لخضر، ودحماني، محمد. (2023). الفضاء العام والمحافظة على البيئة: دراسة ميدانية بالحديقة العمومية الشاهد بوشارب ناصر، تيارت [مذكرة ماستر في علم الاجتماع الحضري، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر].

9. شعيب، صالحة، وعثمان، أمحمد. (2012). بعض القيم الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك البيئي: دراسة ميدانية لعينة من طلبة بنغازي،[مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، ليبيا].

10. قادر، محسن محمد أمين. (2009). التربية والوعي البيئي وأثر الضريبة في الحد من التلوث البيئي [مذكرة ماجستير في العلوم البيئية، قسم إدارة البيئة، كلية الإدارة والاقتصاد، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك].

11. كحلي، عائشة سلمى. (2008). دراسة السلوك البيئي للمؤسسات الاقتصادية العامة في الجزائر: دراسة ميدانية لقطاع النفط بمنطقة حاسي مسعود [مذكرة ماجستير في الاقتصاد وتسيير البيئة، قسم العلوم الاقتصادية، كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر].

12. لشلاش، عمارية. (2012).إشكالية النظافة في المدينة الجزائرية: تصورات وممارسات سكان مدينة وهران [رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر].

13. موسى، صباح. (2023). النظرية التفاعلية الرمزية، [محاضرات، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2 — أبو القاسم سعد الله].

14. النمر، محمد. (2009). التسيير المستدام للنفايات المنزلية: دراسة ميدانية لبلدية قسنطينة،[مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر].

قائمة المصادر و المراجع بالأجنبية:

الكتب:

1 Chombart de Lauwe, P. H. (1965). Des hommes et des villes. Payot, Paris.

2 Davignaud, J. (1986). La solidarité. Fayard, Paris.

3 Douglas, Mary.(2001). Purity and danger: An analysis of concepts of pollution and taboo. Routledge & Kegan Paul (Original work published 1966)

4 Fischer, Gustave-Nicolas. (1981). La psychologie de l'espace. Presses Universitaires de France (Que sais-je?, n° 1925).

5 Fischer, Gustave-Nicolas. (1992). Psychologie sociale de l'environnement. Privat.

6 Grafmeyer, Y., & Joseph, I. (1998). L'école de Chicago: Naissance de l'écologie urbaine. Aubier, Paris.

7 Habermas, Jürgen. (1989). The structural transformation of the public sphere (T. Burger, Trans.). MIT Press. (Original work published 1962)

8 Joseph, Isaac. (1984). Le passant considérable: Essai sur la dispersion de l'espace public. Librairie des Méridiens.

9 Lefebvre, Henri. (1991). The production of space (D. Nicholson-Smith, Trans.). Blackwell Publishers. (Original work published 1974)

10 Park, Robert Ezra. (1925). The city: Suggestions for the investigation of human behavior in the urban environment. In R. E. Park & E. W. Burgess (Eds.), The city. University of Chicago Press.

11 Remy, J., & Voyé, L. (d.a). La ville et l'urbanisation. Duculot.

Sennett, Richard. (1977). The fall of public man. Alfred A. Knopf.

12 Tortel, Lucie. (1998). Psychologie de l'environnement. Dunod.

13 Weber, Max. (1958). The city,(D. Martindale & G. Neuwirth, Trans.). Free Press.

2. المجلات والمقالات العلمية

1 Wirth, Louis. (1938). Urbanism as a way of life. American Journal of Sociology, Volume 44, Issue (1)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الخلفيات الاجتماعية والثقافية التي تُشكّل الممارسات البيئية المرتبطة برمي النفايات في الفضاء الحضري بمدينة وهران، كونها ظاهرة اجتماعية وثقافية مركبة لا تُفهم بمعزل عن السياق الذي تنتج فيه، والبحث عن دور التنشئة الأسرية والهابيتوس الحضري والتأثير الرمزي للفضاء في إنتاج هذا السلوك وإعادة إنتاجه، وما إذا كانت المشكلة الجوهرية تكمن في غياب الوعي البيئي المعرفي أم في غياب الشعور بالانتماء للفضاء المشترك.

الكلمات المفتاحية: الممارسات البيئية، الفضاء الحضري، الهابيتوس، التنشئة الاجتماعية، وهران.

The Abstract:

This study aims to uncover the social and cultural backgrounds that shape environmental practices related to littering in urban public spaces in the city of Oran, since it is a complex social and cultural phenomenon that cannot be understood in isolation from its context, and to examine the role of family socialization, urban habitus, and the symbolic influence of space in producing and reproducing this behavior, and whether the core problem lies in the absence of environmental knowledge or in the lack of a sense of belonging to shared public spaces.

Keywords: Environmental practices, Urban space, Habitus, Socialization, Oran.